المسائل البلاغية

فى

كتاب فقه اللغة وسر العربية

للثعالبى (ت ٤٢٩ هـ)

الدكتور

دسوقى عبد المعز محمد

مدرس البلاغة والنقد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بقنا

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وأصحابه والتابعين ، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ..... وبعد،

فإن كتاب " فقه اللغة وسر العربية " لأبي منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ ، من المصادر الهامة للغة العربية ، فكما أنه محل اهتمام للغويين ، فإنه يجب أن يكون موضع اهتمام البلاغيين والمتأدبين .

وعلى الرغم من أن كتاب " فقه اللغة وسر العربية " للثعالبي يعد واحدا من تلك الكتب التي عنيت بأساليب العرب وطرائقهم في التعبير ، ومن ثم كثيرا ما كشف النقاب عن مسائل بلاغية عديدة ، ومع ذلك فلم يتناوله أحد - فيما أعلم - كي يدرسه دراسة بلاغية تكشف عما في الكتاب من مكنون المسائل البلاغية ، وعما لصاحب الكتاب من جهد وقدم راسخ في حقل البحث البلاغي .

ولهذا كله فإنني أقدمت على دراسة " المسائل البلاغية في كتاب فقه اللغة وسر العربية للثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ " .

هذا وتتناول دراستي لهذا الكتاب استنباط المسائل البلاغية الخاصة بعلوم البلاغة الثلاثة ووضعها تحت أبوابها المصطلح عليها عند البلاغيين حيث وردت هذه المسائل متفرقة في ثنايا هذا الكتاب ، وتحمل أسماء ومصطلحات تختلف غالبا عما عرف في علوم البلاغة .

ولكي تكون الفائدة أتم فإن دراستي لم تقتصر على مجرد جمع شتات هذه المسائل ووضع كل مسألة في بابها ، بل شملت هذه الدراسة كذلك تأصيل هذه المسائل وموازنتها مع ما ذكره البلاغيون لبيان أوجه الاتفاق أو الاختلاف ، مع ذكر الوجوه والنكات الأخرى في الأمثلة التي أوردها الثعالبي ، كما نبهت على بعض المواضع التي اتفق فيها مع ابن فارس وابن قتيبة وغيرهما في بعض الفصول والأغراض .

وعند دراستي لأى غرض مما ذكره نبهت على ما يتعلق به من قضايا وآراء عند البلاغيين مع ذكر قيمة هذا الغرض والفائدة المنوطة به .

ومن نافلة القول أنى استعنت فى هذه الدراسة - بعد الله تعالى - بمصادر البلاغة المختلفة ، وكتب التفسير وعلوم القرآن واللغة ، حتى يتسنى لى إبراز كل ما يتعلق بالشواهد والأمثلة التى أوردها ، وذكر ما يقال فيها من آراء متعددة ، لاسيما أن جل أمثلته فى الغالب من كتاب الله تعالى .

وقد جاءت هذه الدراسة فى ثلاثة فصول وخاتمة مع نبذة موجزة فى التعريف بالثعالبى وكتابه فقه اللغة وسر العربية .

وقد ورد الفصل الأول حاويا ما ذكره الثعالبى من مسائل علم المعانى .

والفصل الثانى ما أورده الثعالبى فى فقه اللغة وسر العربية من مسائل علم البيان

وأما الفصل الثالث فقد تناول مسائل علم البديع فى فقه اللغة وسر العربية .

والخاتمة كانت حول ما كان على هذه الدراسة من ملاحظات ، وما لها من قيمة ، وكذا ما للثعالبى من مكانة بين علماء البلاغة فى عصره .

وقد أريد من وراء هذه الدراسة إبراز دور عالم من علماء اللغة وجهده فى ميدان البحث البلاغى ، من خلال كتابه الذى تناولته هذه الدراسة .

وأرجو أن أكون - بعون الله وفضله - قد وفقت فيما رميت إليه ، وأسأل الله تعالى أن يجزينى عن هذا العمل خيرا ، كما ألتمس من القارئ العذر إن بدا له ما فى هذا العمل من نقص وعوار ؛ لأن أحدا لا يستطيع أن يدعى لنفسه الكمال وبلوغ الغاية ، فالكمال لله وحده ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ .

د / دسوقى عبد المعز محمد محمد

التعريف بالثعالبى :

هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى النيسابورى ، ولد فى نيسابور سنة (٣٥٠ هـ - ٩٦١ م) ، ونشأ فيها ، وكانت أسرته فقيرة تعمل فى خياطة جلود الثعالب ، فعمل فى عمل العائلة ، فلقب بـ " الثعالبى "[١] .

الحياة الثقافية فى عصر الثعالبى :

نشأ الثعالبى فى القرن الرابع الهجرى الذى تميز بتشجيع الحكام والوزراء للعلم وأهله ، والأدب وأصحابه ، وأسهم تشجيعهم إسهاما كبيرا فى تلك النهضة ، وهناك عوامل أخرى ساعدت فى نهضة القرن الرابع الهجرى ، وهى لا تقل أهمية عن تشجيع الحكام والوزراء ، من هذه العوامل ما قامت به دور الكتب فى ذلك الوقت من تنمية الحركة الفكرية والأدبية ، فقد كانت هذه الدور جامعات عامة يتعلم فيها كل من يريد العلم والأدب ، وكان لتشجيع الحكام والوزراء لهذه المكتبات أثر فى نموها وانتشارها ، فكما كان الحكام يجلبون إلى حضرتهم العلماء والأدباء فإنهم كانوا يجمعون الكتب من كل الأنحاء ، ومن المعروف أن أهل المشرق كانوا يهتمون بالتأليف فى كل نواحى العلم والمعرفة ، فكانت الكتب تظهر عندهم أولا ثم تنتقل إلى غيرهم من أهل المغرب والأندلس ، وكان المغاربة والأندلسيون يهتمون بذلك كل الاهتمام لأنهم يعتقدون أن أهل المشرق على الجملة أرسخ فى صناعة تعليم العلم[٢] .

وهكذا نرى أن خزائن الكتب احتلت مكانا رفيعا عند الحكام ، ومن يتصلون بهم من الوزراء والكتاب مما دفع عامة الناس إلى القراءة والاهتمام بالثقافة .

---

(١) انظر ترجمته فى : الأعلام لخير الدين الزركلى ٤ / ١٦٣ ، ١٦٤ - دار العلم للملايين - بيروت .

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٧٧٥ - ط دار الكتاب اللبنانى ، وانظر : الكناية والتعريض للثعالبى - دراسة وشرح وتحقيق د / عائشة حسين فريد ص ١٥ - دار قباء للنشر والتوزيع ١٩٩٨ م .

أما العامل الأكبر بالنسبة للرقي الفكرى بعامة ، والأدبى بخاصة فى القرن الرابع الهجرى فيتمثل فى تلك المجالس التى كانت مجالا للبحث فى كل فروع العلم ونواحى الأدب ، ومن هذه المجالس ما كان متخصصا ، ومنها ما كان عاما ، والأول يتمثل فى دكاكين الوراقين ومنازل العلماء ، والثانى يتمثل فى مجالس بيوت الوزراء والكبراء .

أما دكاكين الوراقين فلم يكن الغرض الأصلى منها بيع الكتب فقط ، وإنما كانت أيضا منتدى لأصحاب الفكر وأهل الأدب ، فكان لها فضل كبير فى نشر العلوم والمعرفة ، ولم يكن روادها إلا ممن عرفوا بالعلم واشتغلوا به ، ومن هنا فإن محبى المعرفة والأدب كانوا يرتادون هذه الدكاكين فى أحيانها التى تعرف بسوق الوراقين التى كانت ملاذ الأدباء ومحبى الأدب كانت كثيرة ومتنوعة : " وهى عبارة عن ندوات فكرية فى ذلك الوقت " [1] .

وأما مجالس العلماء ، فلم يكن منهم من يبخل بعلمه على غيره ، فإذا ما انتهت الدروس فى المساجد ، فإنهم كانوا ينتقلون إلى بيوتهم ليكملوا ما يمكن أن يكون محتاجا إلى إكمال أو ليجيبوا المستفسرين عن أمر من أمور الدين ، وأما المجالس العامة التى كانت فى بيوت الوزراء أو كبار الكتاب ، فلم تكن تقتصر على البحث فى مسائل علم بعينه ، وإنما كانت تشمل فروع المعرفة العلمية والأدبية .

ولمجلس سيف الدولة الحمدانى أثر كبير وصيت عظيم ، فلقد حظى بالعديد من الشعراء والأدباء والعلماء ، وكان لتشجيعه وعطاياه الأثر الأكبر فى

---

(١) انظر : المسامرة ص ١٦

اجتماع هذا النوع الفريد حوله ، وكان حبه للشعر وأهله والنقد وأصحابه دافعا لهؤلاء وهؤلاء إلى التجويد وحسن الفطنة ، ويحسن لمن أراد أن يعرف هذه الناحية بأكملها أن يقرأ ما كتبه الثعالبى فى " اليتيمة " تحت عنوان : " فصل فى انفجار ينابيع جوده على الشعراء " وهذا يتضح لنا أنه قد تضافرت عوامل كثيرة فى سبيل النهضة العلمية والأدبية فى القرن الرابع الهجرى ، وللتقدم الثقافى أثر كبير فى إظهار المنطقة الإسلامية بصورة مشرقة نفاخر بها للآن [1] .

حياته ومكانته :

هذا وامتدت حياة الثعالبى إلى الثمانين ، وكانت حياته حافلة بالدرس والتحصيل والتأليف والسفر وراء خبر أو شعر شاعر أو قول نادر ، ولم يبخل بكل جهده لنيل غرضه الذى طمحت إليه نفسه ، ولذلك أصبح فيما بعد مثالا يحتذى من أدباء عصره ، ولم يقتصر تأثيره على أهل المشرق وحدهم ، بل إن أهل المغرب العربى كانوا أكثر احتفاء بهذا الرجل ومن أكثر الناس قربا إليه .

وكان من أكثر المهتمين به من أدباء المغرب معاصره الحصرى القيروانى يقول فيه : " وأبو منصور فريد دهره ، وفريع عصره ، ونسيج وحده ، وله مصنفات فى العلم والأدب تشهد له بأعلى الرتب " [2] .

وهذا يدل على أن كتب الرجل كانت تسير سير الضوء فى الآفاق الإسلامية فى حال حياته ، مما يؤكد أن الثعالبى ذو مكانة ورسوخ فى عالم الأدب ، ولا شك أن الحصرى قد تأثر به كثيرا فى اختياراته وتنظيم كتابه ، وقد

---

(١) انظر : الكناية والتعريض ص ١٧ .

(٢) انظر : الأعلام ٤ / ١٦٣ وما فيه من مراجع ، ووفيات الأعيان ٣ / ١٧٨ .

عنه الباخرزى - وهو تلميذ الثعالبى - كما جاء عند الحصرى قال : " هو جاحظ نيسابور ، وزبدة الأحقاب والدهور ، لم تر العيون مثله ، ولا أبصرت الأعيان فضله ، وكيف ينكر وهو الذى يحمد بكل لسان ، وكيف يستر وهو الشمس لا يخفى بكل مكان " [1]

ولهذه المكانة فى العلم والأدب أفسح للثعالبى المجال فى قصور الأمراء والولاة والأعيان ، ليكون ريحانة المجلس ، وأنس الصديق ، وقد أدى به فضله وعلمه إلى أن يكون صديقا للأمير أبى الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالى والذى قام له بتأليف هذا الكتاب الذى نحن بصدد دراسته بلاغيا ألا وهو " فقه اللغة وسر العربية " ، كما سجل له بعض ما سمع منه عن بعض الكنايات التى سجلها فى كتابه " الكناية والتعريض " .

مؤلفاته :

نبغ الثعالبى فى الأدب وتاريخه ، وصنف الكتب الكثيرة الممتعة التى تقترب من المائة كتاب ، منها المطبوع ، ومنها المخطوط [2] وأبرزها " يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر " وهو أربعة أجزاء ، وذاع صيت الثعالبى ونال شهرة واسعة بسبب تأليفه لذلك الكتاب ، وفيه تراجم شعراء عصره ، وما تركه لنا من شعره ، وكتبه فى فنون اللغة والأدب ، وتاريخه تعتبر شواهد صدق على ريادته ، ومكانته المرموقة بين أعلام تراثنا العربى ، وتشهد له - أيضا - بطول الباع فى الأدب واللغة وعلوم عصره على الشعراء ، وقد انفرد الصفدى بذكر معظم هذه الكتب وأوردها كما جاءت فى كتاب الإعجاز والإيجاز :

---

(١) زهر الآداب للحصرى القيروانى - تحقيق / على محمد البجاوى ١ / ١٢٧ - ط عيسى البابى الحلبى .

(٢) انظر : الأعلام ٤ / ١٦٣ ، ١٦٤ ، وانظر : الكناية والتعريض ص ١٩ .

كتاب أجناس التجنيس

أحاسن المحاسن = أحسن ما سمعت

كتاب الأحاسن من بدائع البلغاء

كتاب أحسن ما سمعت

كتاب الأعداد = برد الأكباد فى الأعداد

كتاب أفراد المعانى

كتاب الاقتباس

كتاب الأمثال والتشبيهات

كتاب أنس الشعراء

كتاب الأنيس فى غزل التجنيس

كتاب بهجة المشتاق

كتاب التجنيس

كتاب تحفة الوزراء

كتاب التحسين والتقبيح

كتاب ترجمة الكاتب فى آداب الصاحب

كتاب التفاحة

كتاب تفضيل المقتدرين وتنصل المعتذرين

كتاب التمثيل والمحاضرة فى الحِكَم والمناظرة

كتاب الثلج والمطر

كتاب ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب

كتاب جوامع الكلم

كتاب الجواهر الحسان فى تفسير القرآن

كتاب حجة العقل

كتاب حشو اللوزينج

كتاب حلى العقد

كتاب خاص الخاص

كتاب خصائص الفضائل

كتاب الخولة وشاهيات

كتاب سجع المنثور

ديوان أشعاره

كتاب سحر البلاغة وسر البراعة

كتاب سحر البيان

كتاب سر الوزارة

كتاب السياسة

كتاب الشكوى والعتاب وما وقع للخلان والأصحاب

كتاب الشمس

كتاب الشوق

كتاب صفة الشعر والنثر

كتاب طبقات الملوك

كتاب الطرف من شعر البسق

كتاب الظرائف واللطائف

كتاب عنوان المعارف

كتاب عيون النوادر

كتاب غرر البلاغة فى الأعلام

كتاب غرر المضاحك

كتاب الغلمان

كتاب الفرائد والقلائد

كتاب الفصول الفارسية

كتاب الفصول فى الفضول

كتاب فقه اللغة وسر العربية

كتاب الكشف والبيان

كتاب الكناية والتعريض

كنز الكتاب = المنتحل

كتاب لباب الأحاسن

كتاب لطائف الظرفاء

كتاب لطائف المعارف

كتاب اللمع والفضة

كتاب ما جرى بين المتنبى وسيف الدولة

كتاب المبهج

كتاب المشابه لفظا وخطا = ثمار القلوب

فى المضاف والمنسوب

مدح الشئ وذمه

كتاب المديح

كتاب مرآة المروآت

كتاب مفتاح الفصاحة

المقصور والممدود

مكارم الأخلاق

ملح البراعة

كتاب الملح والطُّرف

كتاب منادمة الملوك

كتاب من أعوزه المطرب

كتاب من غاب عنه المؤنس

كتاب المتحل

مؤنس الوحيد في المناظرات

نثر النظم ، وحل العقد

كتاب نسيم الأنس

كتاب نسيم السحر

النهاية في الكناية

كتاب النوادر والبوادر

كتاب الورد

يتيمة الدهر

كتاب يواقيت المواقيت [1] .

---

(١) انظر : الإعجاز والإيجاز للثعالبي – تحقيق وحواشي د / محمد التونجي – ص ١٢ ، ١٣ – دار الثقافي – ط أولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

وقد استطاع الثعالبي بهذه الكتب – علاوة على فقد الكثير منها – أن يضع أمامنا صورة ناطقة بكل أحداث عصره ، سواء أكانت أحداثا سياسية أم اجتماعية أم أدبية وفكرية [1] .

وفاته :

وقد توفي الثعالبي على أشهر الأقوال سنة (٤٢٩ هـ / ١٠٣٨ م) بعد أن كتب النسخة الأخيرة لذيل كتابه يتيمة الدهر والذي سماه " تتمة اليتيمة " [2] .

كتاب فقه اللغة وسر العربية وسبب تسميته بذلك .

يقول الثعالبي : " وقد اخترت لترجمته وما أجعله عنوان معرفة ما اختاره [3] – أدام الله توفيقه – من " فقه اللغة " وشفعته بـ " سر العربية " ليكون اسما يوافق مسماه ، ولفظا يطابق معناه [4] .

---

(١) انظر : الكناية والتعريض ص ١٩ .

(٢) انظر : الأعلام ٤ / ١٩٣ ، وانظر : وفيات الأعيان ٣ / ١٧٨ ، والإعجاز والإيجاز ص ١٠ .

(٣) يريد : أبا الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي ، وهو أحد من اشتهر من أهل عراسان بصنف له الثعالبي عدة كتب ، منها هذا الكتاب " فقه اللغة وسر العربية " . انظر : فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي – ٢ / ٢٥ – بيروت ١٩٧٣ م ، والأعلام ٤ / ١٩١ .

(٤) فقه اللغة وسر العربية للثعالبي – تحقيق / مصطفى الصقا وزملائه ص ٢٣ – المكتبة التوفيقية (بدون)

الفصل الأول

فيما تضمنه فقه اللغة وسر العربية

من علم المعانى

ما جاء فى فقه اللغة وسر العربية من أمثلة للمجاز العقلى :

بتصفح هذا الكتاب وجد أن الثعالبى لم يضع للمجاز العقلى بابا ولم يفرد له فصلا ، ولم يميزه من المجاز اللغوى ، بل ذكر أمثلة هى للمجاز العقلى ، ولكنه ذكرها تحت فصول يقول فيها من سنن العرب كذا وكذا ...

يقول الثعالبى - تحت فصل عنوانه : إضافة الفعل إلى ما ليس بفاعل على الحقيقة : " من سنن العرب أن تعبر عن الجماد بفعل الإنسان كما قال الراجز :

امتلأ الحوض وقال قطنى ∴ مهلا رويدا قد ملأت بطنى ".

وليس هناك قول ، وكما قال الشماخ :

كأنى كسوت الرحل أحقب سهوقا ∴ أطاع له فى رأفتين حديق [1]

فجعل الحديق مطيعا لهذا العير لما تمكن من رعيه ، والحديق لا طاعة له ولا معصية ، وفى كتاب الله عز وجل : ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ ﴾ [2] ، ولا إرادة للجدار ، ولكنه توسع العرب فى المجاز

---

(١) الحقب بالتحريك حبل يشد به الرحل إلى بطن البعير لما يلى ثيله كى لا يحذ به الصدر ، تقول : أحقب البعير إذا أصاب ثيله فاحتبس بوله (اللسان حقب) ، والسهوق : الطويل من الرجال والشديد من الرياح (اللسان سهق) ، والراضين : اسم موضع بالبادية (معجم البلدان ٣ / ١٦٤) ، والحديقة : الروضة ذات الشجر . (اللسان حدق) .

(٢) سورة الكهف : ٧٧ ، ويفهم من كلام أبى حيان أن جعله من المجاز العقلى إذ يقول : إسناد الإرادة إلى الجدار من المجاز البليغ ، وكثيرا ما يوجد فى كلام العرب إسناد أشياء تكون من أفعال العقلاء إلى ما لا يعقل . ينظر : تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى ٦ / ١٥١ ، ويسارع الشهاب أن المجاز دائر بين الاستعارة والمجاز المرسل . ينظر : تفسير البيضاوى ١ / ٥١٤ =

والاستعارة " [1] ، ومما ذكره كذلك من علاقات المجاز العقلي قوله : فصل في المفعول بمأتي بلفظ الفاعل [2] ، كقول العرب : سر كاتم أي : مكتوم ، ومكان عامر أي : معمور ، وفي القرآن : ﴿ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [3] أي : لا معصوم ، وقال تعالى : ﴿ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ [4] ، أي : مدفوق ،

= فعلى القول بأنها استعارة فيمكن حملها على الاستعارة التصريحية التبعية حيث شبه قرب السقوط بالإرادة لما فيها من الميل والشوق من الإرادة " يريد " ، ويمكن حملها أيضا على الاستعارة المكنية والتخييلية على إسناد ما يكون من أفعال العقلاء إلى غيرهم ، أما على القول بالمجاز المرسل فتكون العلاقة المسببية بعلاقة تسبب إرادة السقوط تقريبه . انظر : تفسير روح المعاني للآلوسي ١٦ / ٦ - دار إحياء التراث العربي - بيروت .

(١) من الواضح أن التعالي لا يستشهد بهذه الآية على أنها حوت مجازا عقليا ، ولكنه جاء بها ليدلل على وقوع المجاز - على وجه العموم - في القرآن الكريم وقد سبقت الإشارة إلى أن هذه الآية تحتمل استعارة بالكناية ، أو مجازا مرسلا .

(٢) وقد اتفق التعالبي مع ابن فارس وابن قتيبة في هذا الباب في جل الأمثلة ، ينظر : الصاحبي لابن فارس ص ١٨ - مطبعة المؤيد ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م ، وينظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة - تحقيق / أحمد صقر ص ٢٩٦ - ط الثانية .

(٣) سورة هود ٤٣ ، وللعلماء في لفظ " عاصم " هنا أقوال أخرى ، فهي عند الزركشي من إقامة صيغة مقام أخرى ، وقال أبو حيان : والظاهر إبقاء عاصم على حقيقته ، وأنه نفى كل عاصم من أمر الله في ذلك الوقت ، وجوز أن يكون بمعنى ذي عصمة ، وقال ابن عطية : عاصم معناه : ذو اعتصام ، فـ " عاصم " على هذا في معنى معصوم ، وبذا يكون ابن عطية متفقا مع التعالبي في ذلك ، ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ٣ / ١٧٥ - دار الكتب العلمية بيروت لبنان - ط أولى - ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م .

(٤) سورة الطارق : ٦ ، ودافق هنا بمعنى مدفوق ، وذهب إلى ذلك ابن عطية ونقل عن الخليل وسيبويه بأنها بمعنيان تعني على النسب : أي ذي دفق ، والدفق : دفق الماء بعضه إلى بعض ، والدفق الوادي والسيل ، إذ جاء يركب بعضه بعضا ، وهذا هو ما اختاره الشهاب وغيره بأما صاحب الكشاف فقد أورد الرأيين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر ، إذ قال : والدفق : صب له دفع ، ومعنى دافق : النسبة إلى الدفق الذي هو مصدر " دفق " كالتامر ، واللابن ، أو الإسناد المجازي ، والدافق في الحقيقة لصاحبه ، وغير خاف أن في حمل المعنى على المجاز العقلي =

وقال : ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ [1] ، أي مرضية ، وقال الله سبحانه ﴿ حَرَمًا آمِنًا ﴾ [2] ، أي مأمونا ، وقال جرير :

إِنَّ البَلِيَّةَ مِن تَمَلُّ حَدِيثُهَا ∴ فَانْفَعْ فُؤَادَكَ مِن حَدِيثِ الوَامِقِ [3]

أي : من حديث الموموق .

= فيه إبراز للمبالغة في سرعة الاندفاق والاندفاع علاوة على زيادة التصوير ، ينظر : تفسير الوجيز ٥ / ٤٦٥ ، والكتاب لسيبويه - تحقيق الأستاذ / عبد السلام هارون ٣ / ٣٨٢ - مكتبة الخانجي بمصر - ط ثالثة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسمى عناية القاضي وكفاية الراضي ٨ / ٣٤٧ - دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ، وينظر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ٤ / ٢٠٢ - دار المعرفة بيروت لبنان - بدون .

(١) سورة الحاقة ٢١ ، والقارعة ٧ ، وأصل التعبير : عيشة رضيها صاحبها ، فالراضي كان - بحسب الأصل - مسندا إلى الفاعل الحقيقي وهو الصاحب ، ثم حذف الفاعل وأسند الرضا إلى ضمير العيشة ، وقيل : عيشة رضيت لما بين الصاحب والعيشة من المشاكلة في تعلق الرضا بكل ، ولا يخفى أن في حمل الآية على المجاز العقلي ما يفيد المبالغة في النعيم الذي أعده الله - تعالى - للمؤمنين إلى درجة أن العيشة أصبحت راضية بصاحبها ، تأنقه وبالقها ، فهو يدل على بقائها ودوامها ، هذا فضلا عن ملاءمته للمقام ، وذلك لأن العيش في رحاب الجنة لا يدانيه عيش ، والسعادة والرضا هناك لا يدانيها سعادة ورضا ، فلا عجب أن يسري هذا الرضا إلى العيشة نفسها ، فضلا عن صاحبها ، ينظر : حاشية الدسوقي (ضمن شروح التلخيص) ١ / ٢٣٨ - مطبعة دار السرور بلبنان ، وينظر : خصائص التراكيب - د / محمد أبو موسى ص ٧٠ - دار الشامل - ط ثانية ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، وينظر : من أسرار التركيب القرآني - د السيد عبد الفتاح حجاب ص ٣٧ ، ٣٨ - المكتبة التوفيقية - ط أولى ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

(٢) العنكبوت : ٦٧ ، قال البيضاوي : أي جعلنا يقدهم مصونا من النهب والعدى ، أما أفعله من القتل والسبي ، وقال الشهاب : قوله : أما أفعله ، إشارة إلى أن آمنه كناية عن أمن أهله ، وهو إسناد مجازي ، أو في مضاف مقدر ، حاشية الشهاب ٧ / ١١٠ .

(٣) يقال : تلع بالماء روى ، وشرب حتى تلع أي : شفى غليله ، والمراد هنا : التمتع بالحديث والتشبيه منه على التشبيه للحديث بالماء ، ينظر : مختار الصحاح للرازي ص ٦٧٧ - دار القلم بيروت لبنان - من دون ، والمقة : المحبة ، والوامق : المحب ، ينظر : الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

وهكذا حشد التعالبى طائفة من الأمثلة المتنوعة من أقوال العرب شعرها ونثرها ، ومن القرآن الكريم ، حشدها تحت مجئ المفعول بلفظ الفاعل ، وهو ما عرف بعد بالمجاز العقلى لعلاقة المفعولية ، لأن الفاعل المجازى فى كل ما سبق كان أصله مفعولا ، وغنى عن البيان أن جل ما أورده هذه العلاقة وغيرها تناوله من بعده ، ولكن زادوا عليه فى بعض الأحيان إبراز العلة البلاغية من وراء هذه العلاقة أو تلك ، فحسبه فى زمانه تلك الإشارة .

ثم يقول تحت فصل " الفاعل يأتى بلفظ المفعول ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴾ [1] ، اى : آتيا ، وكما قال جل جلاله : ﴿ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ [2] ، اى ساترا .

---

(١) سورة مريم : ٦١ ، فهم من كلام ابن عطية أن الإسناد فى الآية على الحقيقة حيث قال : " والمأتى " مفعول على بابه ، والآتى هو الإخبار والفعل الذى تضمنه الوعد ، وكان إتيانه إنما يقصد به " الوعد " الذى تقدمه ، وهذا ما ذهب إليه الزمخشرى ، ولكنه فسر الوعد بالجنة وهو تخصيل العموم ، يقول : والوجه أن الوعد هو الجنة وهم يأتونها ، وممن تأرجح بين الإسناد المجازى تارة ، والحقيقى تارة أخرى الفراء وابن قتيبة والزجاج ، ينظر : المحرر الوجيز ٤ / ٢٣ ، والكشاف ٢ / ٤١٥ ، ومعانى القرآن للفراء - تحقيق الأستاذ / محمد على النجار ٢ / ١٧٠ - الدار المصرية للتأليف والترجمة ، و تأويل مشكل القرآن ص ٢٩٨ ، ومعانى القرآن وإعرابه للزجاج - تحقيق د / عبد الجليل عبده شلبى ، ٣ / ٣٣٦ - عالم الكتب بيروت - ط أولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

(٢) سورة الإسراء ٤٥ ، قال الأخفش : " مستورا " بمعنى ساترا كمشتوم وميمون فإنما بمعنى شائم ويامن ، وقال الزمخشرى : المراد ذا ستر ، كقولهم : ليل نائم : ذو نوم ، وليل هو حجاب لا يرى فهو مستور ، ويجوز أن يراد أنه حجاب من نوع حجاب أو حجب فهو مستور بغيره ، أو حجاب يسير أن يعبر ، فكيف بمعبر الحجب به ، ينظر : معانى القرآن للأخفش - تحقيق د / عبد الأمير محمد أمين الورد ص ٦١٣ - عالم الكتب - ط أولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، وينظر : الكشاف ٢ / ٤٥٢ ، والبرهان ٢ / ٢٨٥ ، وفقه اللغة وسر العربية ص ٢٣٧ .

كما يورد أمثلة من علاقة الزمانية فيقول : ومن سنن العرب وصف الشئ بما يقع فيه أو يكون منه ، كما قال الله تعالى : ﴿ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ [1] ، أى : يوم عاصف الريح ، وكما تقول : ليل نائم ، أى : ينام فيه ، وليل ساهر : أى يسهر فيه [2] .

ويقول فى فصل " إقامة الاسم والمصدر مقام الفاعل والمفعول ، المسول العرب : رجل عدل ؛ أى : عادل ، ورضى ؛ أى : مرضى ، وهو فلان سلم ؛ أى : مسالون ، وحرب ؛ أى : محاربون ، وفى القرآن : ﴿ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ .... ﴾ [3] ، وتقديره : ولكن البر بر من آمن بالله ؛ فأضمر ذكر البر وحذفه [4] .

---

(١) سورة إبراهيم : ١٨ ، قال ابن عطية : " ووصف اليوم بالعصوف - وهى من صفة الريح الحقيقة - لما كانت فى اليوم ، ومن هذا المعنى قول الشاعر جرير :

لقد لُمتنا يا أُمَّ غيلانَ فى السُّرى ... ونِمتِ وما ليلُ المطيِّ بنائمِ

وعند الزمخشرى أيضا الآية من المجاز العقلى بعلاقة الزمانية ، كما يقول : وقرئ (فى يوم عاصف) بالإضافة ،وعند ابن قتيبة مما حذف فيه الكلمة حيث يقول: أراد : فى يوم عاصف الريح ، فحذف لأن الريح قد تقدم وكان فيه دليل ، انظر : المحرر الوجيز ٣ / ٣٣١ ، والكشاف ٢ / ٣٧٢ ، وتأويل مشكل القرآن ص ٢١٧ .

(٢) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٣٢ .

(٣) سورة البقرة : ١٧٧ ، ويتفق التعالبى مع الطبرى فى تلك الآية حيث يقول : " والبر " بمنزلة اسم الفاعل تقديره : ولكن البار من ، والمصدر إذا نزل منزلة اسم الفاعل فهو ولابد محمول على حذف مضاف ، كقولك : رجل عدل ، ورضى ، ينظر : تفسير الطبرى ٢ / ٩٥ - دار الفكر - بيروت ١٤٠٥ هـ ، والمحرر الوجيز ١ / ٢٣٤ ، وروح المعانى ٢ / ٤٥ .

(٤) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٣٧ .

أمثلة التقديم والتأخير فى فقه اللغة وسر العربية [1]

تعرض التعالبى للكلام عن التقدم والتأخير ومثل لذلك بالكثير من آيات القرآن الكريم ، ومثل ذلك من أشعار العرب ، وتجدر الإشارة هنا إلى أن التعالبى لا يقصد بالتقديم المتعارف عليه من تقديم المسند إليه ، والمسند ، والمتعلقات ، وإنما يقصد أشياء تذكر أثناء الكلام فيقدم فيها ما يكون متأخرا ، فيقول فى فصل " تقديم المؤخر وتأخير المقدم ، العرب تبتدئ بذكر الشئ ، والمقدم غيره [2] ، كما قال الله عز وجل : ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [3] ، وكما قال تعالى : ﴿ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم

---

(١) اصطلح شيخ البلاغيين الإمام عبد القاهر الجرجانى بقوله : " هو باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفتر لك عن بديعة ، ويفضى بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك ، أن قدم فيه شئ ، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان ، كما يعجب الإنسام عند القاهر على من لم يقلوا عند أمثلة التقديم لبيان المعنى والغرض ، فيقول :واعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئا يجرى مجرى الأصل غير العناية والاهتمام ... والشأن فى أنه ينبغى أن يعرف فى كل شئ قدم فى موضع من الكلام سبب ذلك ووجه العناية ، وقد وقع فى ظنون الناس أنه يكفى أن يقال " إنما قدم للعناية من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية ، وتخيلهم ذلك قد صير أمر التقديم والتأخير فى كلامهم وقودوا الخطب فيه ، حتى رأوا السعة والنثر فيه ضربا من التكلف ، ولو أنهم أرادوا على حداثة من هذا وشبهه ، انظر كتاب : دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر – تحقيق / محمود محمد شاكر ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ – مطبعة المدنى – من دون تاريخ .

(٢) الكلام للتعالبى ص ٢٢٧ .

(٣) سورة آل عمران : ٤٣ ، قدم السجود على الركوع لما لكونه كذلك فى شريعتهم ، أو للتنبيه على أن الواو لا توجب الترتيب ، أو ليقترن الركوع مع الراكعين للإيذان بأن من ليس فى صلاتهم ركوع ليس فى صلاتهم . انظر : الشهاب ٢ / ٣٨ .

مُّؤْمِنٌ ﴾ [1] ، وكما قال عز وجل : ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ [2] ، وكما قال تعالى :

---

(١) سورة التغابن : ٢ ، قال صاحب المحرر الوجيز : قدم الكافر لأنه أعرف من جهة الكثرة ، وقد أيده البقاعى بقوله : وفيه تلويح إلى أنه الأكثر ، ومع كثرته هو الأخسف ، كما نبه أيضا السيوطى ، انظر : المحرر الوجيز ٥ / ٣٦٨ ، ونظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للبقاعى – تحقيق / عبد الرازق غالب المهدى ٨ / ٥ – دار الكتب العلمية بيروت – ط أولى ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ، وانظر : معترك الأقران فى إعجاز القرآن للسيوطى – تحقيق / أحمد شمس الدين ١ / ١٣٥ – دار الكتب العلمية بيروت لبنان – ط أولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

(٢) سورة الشورى ٤٩ ، قد يكون التقديم هنا للإيناس والتشريف ، وهو ما ذكره ابن عطية حيث قال : وبدئ فى هذه الآية بذكر الإناث تأنيسا لهن ، وتشريفا لمن ليبهم بتقويض والإحسان إليهن ، وقال النبى ﷺ : " من ابتلى من هذه البنات بشئ فأحسن إليهن كن له حجابا من النار " ، بينما يرى ابن الأثير أن التقديم للاهتمام حيث يقول : " إنما قدم الإناث على الذكور مع تقديمهم عليهن ، لأنه ذكر البلاء فى آخر الآية الأولى ، وهى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴾ سورة الشورى ٤٨ ، وكفران الإنسان بنسيانه للرحمة السابقة عنده ، ثم عقب ذلك بذكر ملكه ومشيته ، وذكر قسمة الأولاد ، فقدم الإناث ، لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاء لا ما يشاء الإنسان فكان ذكر الإناث الذى هن من جملة ما لا يشاؤه الإنسان ولا يختاره أهم ، والأهم واجب التقديم ، ولبلى الجنس الذى كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء ، وبما أخر ذكر الذكور وهم أحقاء بالتقديم تداركه ذلك بتعريفه إياهم ، لأن التعريف تعريف بالذكر ، كأنه قال : ويهب لمن يشاء الذكران المذكورين اللذين لا يخفون عليكم . ثم انتقل بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير ، وعرف أن تقديم الإناث لم يكن لما ظنوه ، ولكن لمقتضى آخر فقال : ﴿ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ﴾ سورة الشورى ٥٠ ، وهذه دقائق لطيفة قل من تنبه لها أو يطلع على رموزها ، ومن الجدير بالذكر أن الخطيب القزوينى قد جعل هذه الآية تحت باب التقسيم ، وأدرجها تحت قسم استيفاء أقسام الشئ بالذكر ، انظر : المحرر الوجيز ٥ / ٤٣ ، وينظر للمزيد فى : صحيح البخارى – تحقيق / عبد العزيز سعد ٩ / ٣٧٦ – كتاب التوحيد ٢ / ٤٥ – المكتبة العصرية للطباعة والنشر ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م ، وانظر : المثل السائر لابن الأثير – تحقيق / محمد محيى الدين عبد الحميد – د / عبد الفتاح لاشين ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ – دار الرفاعى للنشر – ط الرياض ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، وينظر : الإيضاح فى علوم البلاغة للخطيب القزوينى – تحقيق د / محمد عبد المنعم خفاجى ٦ / ٥٣ – دار الكتاب الحديث – الكويت .

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ [1] ، وكما قال حسان ابن ثابت :

بَهَالِيلُ [2] : مِنهُم جَعفَرٌ ، وَابنُ أُمِّهِ .·. عَلِيٌّ ، وَمِنهُم أَحمَدُ المُتَخَيَّرُ

وكما قال الصلتان العبدى :

فَمِنَّا أَنَا مسلمون .·. على دين صديقنا والنبى [3]

والحق أن هذا النوع من التقديم الذى ذكره التعالبى يمكن أن يندرج تحت التقديم فى الرتبة والمنزلة ، والقارئ فى البلاغة العربية يستشعر افتقار هذا النوع من التقديم إلى عناية جل البلاغيين ، حيث يراهم قصروا نظرهم وعنايتهم على بيان أسرار تقديم ما حقه التأخير ، كما هو جلى فى مؤلفاتهم ولعله لم يهتم بدراسة هذا النوع من التقديم - فيما بدا لى - إلا نفر قليل من البلاغيين والعلماء منهم : صاحب البرهان فى علوم القرآن الإمام الزركشى الذى أورد فيه خمسا وعشرين نوعا مما تنطوى تحت هذا النوع [4] ، وكذلك صاحب المثل السائر حيث تحدث عن هذا النوع بيد أنه لم يتوسع فيه توسع

---

(١) سورة الأنبياء : ٣٣ ، أورد الزركشى أن تقديم الليل على النهار فى هذه الآية إنما هو للسبق ، أى السبق فى الوجود ، فلما كان خلق الليل إنما هو جزئى من جزئيات خلق الظلمة التى كان تكونه يسبق فيها قبل خلق الأجرام المنورة ، وكانت الظلمة عدما - والنور وجودا ، والعدم سابق للوجود فقدم ذكر الليل على النهار مراعاة للسبق فى الوجود ، انظر : البرهان ٣ / ٢٤١ ، ٢٤٢ ، وانظر : تفسير التحرير والتنوير - للشيخ / محمد الطاهر بن عاشور ١٧ / ٥٩ ، ٦٠ - الدار التونسية للنشر ، وانظر : من عطاء نظم القرآن الكريم - دراسة تحليلية لسورة الأنبياء - د / عبد الحميد الهيتى ص ١٢٧ ، ١٢٨ - مطبعة أبناء وهبة - ط أولى ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

(٢) بهاليل : جمع بهلول ، وهو السيد الجامع لكل خير - انظر : لسان العرب مادة " بهل " .

(٣) الفاء للعطف وسر العربية ص ٢٢٧ .

(٤) انظر : البرهان ٣ / ٢٢٨ .

الزركشى [1] ، لذا العناية بمثل هذا النوع من التقديم فهو مفعم باللطائف والنكات البلاغية ذات اللمحات القوية والأسرار البهية .

ويورد التعالبى نوعا آخر من التقديم حيث قال : " فصل يناسب فى التقديم والتأخير " العرب تقول : أكرمنى وأكرمت زيدا ، وتقديره : أكرمنى زيد وأكرمته ، كما قال تعالى حكاية عن ذى القرنين : ﴿ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ [2] ، وتقديره : آتونى قطرا أفرغ عليه ، وكما قال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ، قَيِّمًا ﴾ [3] ، وتقديره : أنزل على عبد الكتاب قيما ، ولم يجعل له عوجا ، وكما قال امرؤ القيس :

فَلَو أَنَّ ما أَسعى لأَدنى مَعيشَةٍ .·. كَفانِي وَلَم أَطلُب قَليلٌ مِنَ المالِ

وتقديره : كفانى قليل من المال ولم أطلبه ، وكما قال طرفة [4] :

---

(١) انظر : المثل السائر ٢ / ٣٥ وما بعدها .

(٢) سورة الكهف ٩٦ ، وعند أبى السعود ، أى آتونى قطرا ، أى لجانا مذابا أفرغ عليه قطرا ، فحذف الأول لدلالة الثانى عليه ٥ / ٢٤٦ - دار إحياء التراث العربى بيروت - من تونى .

(٣) سورة الكهف : ١ ، ٢ - قال الزركشى : المعنى " أنزله قيما ولم يجعل له عوجا ، فقال جماعة منهم الواحدى ، ورده الإمام فخر الدين الرازى فى تفسيره بأن قوله : " ولم يجعل له عوجا ، قيما " معناه أنه كامل فى ذاته ، وأن " قيما " ، معناه : أنه مكمل لغيره ، وكونه كاملا فى ذاته ، سابق على كونه مكملا لغيره ، لأن معنى كونه " قيما " أنه قائم بمصالح الغير ، قال : فثبت بالوجدان العقلى أن الترتيب الصحيح ما ذكره فى الآية ، وما ذكر من التقديم والتأخير فاسد يمنع العقل من الذهاب إليه ، ويعلق الزركشى على هذا القول بقوله : " وهذا فيه عجب من الإمام ، لأن القائل بالتقديم والتأخير لا يقول بأن كونه غير ذى عوج متأخر عن كونه " قيما " فى المعنى ، وإنما الكلام فى ترتيب اللفظ لأجل الإعراب ، وقد يكون أحد الضدين تابعا فى الأمر يذكر بعده ، ثم يقول الزركشى : وهذا البحث إنما هو على تفسير القيم بمستقيم ، أما إذا فسر بالقيام على غيره فلا نسلم أن القائل يقول بالتقديم والتأخير ... " انظر : البرهان ٣ / ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، وانظر : سر الفصاحة ص ٢٢٧ .

وتجري إذا نادى المضافُ [1] فتىً [2] ... كذئب الغضى [3] يمشي الضَّراءةُ المُتَوَرِّدِ [4]

وتقديره : كذئب الغضى المتورد يمشي الضراءة ، وكما قال ذو الرمة :

كأنَّ أصواتَ من إيغالهنَّ بنا ... أواخرَ الميسِ [5] إنقاضُ الفراريجِ [6]

وتقديره : كأن أصوات أواخر الميس من إيغالهن بنا إنقاض الفراريج ، وكما قال أبو الطيب المتنبي :

حملتُ إليه من لساني حديقةً ... سقاها الحجى سَقْيَ الرياضَ السَّحائبِ

وتقديره : سقى السحاب الرياض [7]

ما ذكره في باب الإنشاء :

خروج الأمر عن معناه :

المتصفح لفقه اللغة وسر العربية للثعالبي لا يجد فيه أية إشارة عن الخبر ومعانيه لكنه يلحظ أنه لم يشر إلا للإنشاء ، ولم يذكر منه سوى أسلوب الأمر حيث قال : " فصل فيما ظاهره أمر وباطنه زجر .. وهو من سنن العرب ،

---

(١) المشي بالقوم الحال البهم . اللسان (جنف) .

(٢) لحب فلان : أي تقوس والحق ، والحب من الخيل بعد ما بين الرجلين من غير فحج وهو مدح . اللسان (حبب) .

(٣) الغضى : شجر ، ومنه قولهم : ذئب غضا . اللسان (غضا) .

(٤) الورد : أي تقدم على ، ومعنى البيت : هو المقدم على قرنه الذي لا يدفعه شيء . اللسان (ورد) .

(٥) الميس : شجرة وهو من أجود أنواع الشجر وأصلبه وأصلحه لصنعة الرحال . اللسان (ميس) .

(٦) وإنه يشبه هو الربذ أخطم الرحال بأصوات الفراريج .

(٧) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٢٨ .

تقول : إذا لم تستح فافعل ما شئت ، وفي القرآن : ﴿ .... اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ [1] ، وقال جل وعلا : ﴿ وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [2] [3]

صور الإخراج على خلاف مقتضى الظاهر :

التعبير عن المستقبل بالماضي وعكسه :

من الجلي أن التأنق في التعبير ، أو العدول عن مقتضى الظاهر لابد أن يكون وراءه نكتة لطيفة أو نكتة بلاغية تكمن وراء هذا التعبير ، والمتأمل في أساليب القرآن الكريم ، ثم الأساليب العربية الأخرى يجد كثيرا منها خالف ظاهر مقتضاها معناها ، وهذا لا يأتي لغوا أو عبثا ، بل هو " يأتي لأسرار بلاغية لا يهتدي إلى موقعها إلا من مهر في سياسة الأساليب " [4] ، كما أن التعبير بالماضي عن المضارع مقصود في الكلام " ولم يأت عن عجز في اللغة ، ولا يمتنع على قائل أن ينقله إلى صيغة المضارع إذا شاء " [5] .

---

(١) سورة فصلت ٤٠ ، و هذا وعيد في صيغة أمر يحتاج من أهل العلم ، ودليل الوعيد وسببه قوله : ﴿ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ، انظر : تفسير الطبري ١٥ / ٢٣٨ ، وأبي السعود ٨ / ١٥ ، والشهاب ٥ / ١١٦ .

(٢) سورة الكهف ٢٩ ، قال أبو السعود " الآية فيها توعد وتهديد وإظهار الاستغناء عن متابعتهم وعدم المبالاة بهم وبإتيانهم وجودا وعدما ما لا يخفى " ، وفي روح المعاني : " إن الأمر بالكفر غير مراد وهو استعارة للخذلان والتخلية بتشبيه حال هؤلاء من هو كذلك بحال المأمور بالمعالقة ، ووجه الشبه في عدم المبالاة والاعتناء . ١٥ / ٢٦٦ .

(٣) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٣٠ .

(٤) خصائص التراكيب ص ٢١٠ .

(٥) اللغة الشاعرة لعباس محمود العقاد ص ١٩ – طبع مكتبة غريب بالقاهرة ١٩٨٨ م .

وفى فقه اللغة وسر العربية أورد الثعالبى شواهد وأمثلة للتعبير عن المستقبل بالماضى وعكسه ، ولكنه لم يشر إلى دلالة ذلك التعبير أو ذاك [1] بل اكتفى بالأمثلة فيقول : " فصل فى الفعل يأتى بلفظ الماضى وهو مستقبل وبلفظ المستقبل وهو ماض ، قال الله عز ذكره : ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ [2] ، أى يأتى . وقال جل ذكره : ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴾ [3] ، أى : لم يصدق ولم يصل ، وقال عز من قائل فى ذكر الماضى بلفظ المستقبل : ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ ﴾ [4] ، أى : لم قتلتم ، وقال تعالى : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ ﴾ [5] ، أى : ما تلت .

---

(١) اللهم إلا بإشارة بدت فى موضع آخر من فقه اللغة وسر العربية ، وذلك عند حديثه عن الحرف " إذ " فى قوله تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ ﴾ سورة الأنعام ٢٧ ، فقال الثعالبى : فترى مستقبل ، و " إذ " للماضى ، وإنما قال كذلك ؛ لأن الشىء كائن ، وإن لم يكن بعد ، وهو عند الله قد كان ؛ لأن علمه به سابق ، وقضاءه نافذ ، فهو لا محالة كائن . انظر : فقه اللغة وسر العربية ص ٢٦٥ .

(٢) سورة النحل : ١ ، يقول صاحب المحرر الوجيز : وقوله تعالى : ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ إخبار عن إتيان ما يأتى ، وصح ذلك من جهة التأكيد ، وإذا كان الخبر حقا فيؤكد المستقبل بأن يخرج فى صيغة الماضى ، أى كأنه لوضوحه والثقة به قد وقع ، وحسن ذلك فى خبر الله - تعالى - لصدق وقوعه ، ومن قائلة القول أن هذا التعبير جاء على طريق الاستعارة بتشبيه المستقبل المحقق بالماضى فى تحقق الوقوع ، والقرينة عليه ، قوله : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ فإنه لو وقع ما استعجل . انظر : المحرر الوجيز ٣ / ٣٧٧ ، والكشاف ٢ / ٣٢١ ، ومفاتيح الغيب وهو المسمى بـ " تفسير الفخر الرازى المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب " - تقديم / محيى الدين المسير ١٠ / ٢٢٨ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .

(٣) سورة القيامة ٣١ ، وفى تفسير الطبرى أى : لم يصدق بكتاب الله ولم يصل له صلاة ، انظر : جامع البيان عن تأويل آى القرآن لابن جرير الطبرى ٢٩ / ١٩٩ - دار الفكر بيروت ١٤٠٥ هـ .

(٤) سورة البقرة ٩١ ، وقال الطبرى : خاطبهم بالمستقبل من الفعل ومعناه الماضى ١ / ٤٢٠ ، وقال الألوسى : وإيراد صيغة المضارع مع الظرف الدال على المضى للدلالة على استمرارهم على القتل فى الأزمنة الماضية . روح المعانى - دار إحياء التراث العربى بيروت - من دون ١ / ٣٢٤ .

(٥) سورة البقرة ١٠٢ ، قال الطبرى : تتلوا بمعنى تلت ١ / ٤٥٦ ، وقال ابن عطية : وتتلوا بمعنى تلت ، فالمستقبل وضع موضع الماضى ، انظر : المحرر الوجيز ١ / ١٨٥ .

ثم أفرد الثعالبى " كان " بشاهدين على أنها قد " تأتى بلفظ الماضى ومعنى المستقبل ، كما قال الشاعر :

فَأَدْرَكْتُ مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلِي وَلَمْ أَدَعْ ∴ لِمَنْ كَانَ بَعْدِي فِي القَصَائِدِ مَصْنَعْ

أى لمن يكون بعدى .

وفى القرآن : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [1] ، أى : كان ، ويكون ، وهو كائن الآن جل ثناؤه [2] .

وفى موضع آخر من فقه اللغة ، وفى سياق حديث الثعالبى عن أن " إذ " قد تفيد معنى " إذا " ، يقول : قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ ﴾ [3] ، فـ " ترى " مستقبل ، و " إذ " للماضى ؛ وإنما قال كذلك ؛ لأن الشىء كائن ، وإن لم يكن بعد ، وهو عند الله قد كان ، لأن علمه به سابق ، وقضاءه نافذ ، فهو لا محالة كائن [4] [5] .

---

(١) سورة النساء ٩٦ ، يقول أبو السعود : وكان هى الناقصة التى تدل على تحقق شىء حصلة فى الزمان الماضى من غير دلالة على عدم سابق أو لاحق ، كما فى قوله : " وكان الله غفورا رحيما " . انظر : تفسير أبى السعود ٢ / ٧٠ .

(٢) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٣٦ .

(٣) سورة الأنعام : ٢٧ .

(٤) من الملاحظ هنا أن الثعالبى ذكر سر التعبير عن المستقبل بالماضى ، بيد أنه لم يشر إليه فعل ذلك لا من قريب ولا من بعيد ، ربما على اعتبار أن هذا شىء معلوم بينما نص عليه هنا ؛ لأنه كان فى معرض التفريق بين " إذ " التى للماضى و " إذا " التى للمستقبل .

(٥) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٦٥ .

أمثلة التغليب فى فقه اللغة وسر العربية [1] :

عرف البلاغيون التغليب بأنه " أن يعطى أحد المصطحبين أو المتشاركين حكم الآخر [2] ، وعرفه الزركشى بأنه : " ترجيح أحد المتلازمين على الآخر ، أو إطلاق لفظة عليهما ، إجراء للمختلفين مجرى المتفقين " [3] ، ويقول عنه ابن هشام : " لهم إنما يغلبون على الشئ ما لغيره لتناسب بينهما أو اختلاط " [4] .

وهذا اللون من التعبير له سماته البلاغية التى يتميز بها ، وهو نوع من الكلام لطيف المأخذ ، كثير الفائدة ، ولذلك فإنه قيل : إن للعرب مسالك دقيقة فى هذا الباب تكشف صورا من إدراكهم للأشياء ، فتغليب المذكر على

---

(١) ومما ينبغى الإشارة إليه أن التغليب نوع من أنواع المجاز فهو من المجاز المرسل ، وقد صرح بالمجازية ابن عطية فيما أورده فى قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ ﴾ سورة يونس ٣٥ ، حيث قال : ووصف الأصنام بأنها لا تهدى إلا أن تهدى ، ولعن تجدها لا تهدى وإن هديت ، فوجه ذلك أنه عامل فى العبارة عنها معاملتهم فى وصفها بأوصاف من يعقل ، وذلك مجاز موجود فى كثير من القرآن ، هذا وقد نص صاحب المطول على مجازية التغليب قال : وضع باب التغليب من المجاز ، لأن اللفظ لم يستعمل فيما وضع له ، ويعلل صاحب البلاغة العالية كون التغليب من المجاز بقوله : " وإنما كان التغليب من المجاز ، لأن اللفظ فيه لم يستعمل فيما وضع له ، وهم يغلبون الشئ على غيره ، لتناسب أو اختلاط بينهما ، وهذا يرجع إلى علاقة الجزئية أو المجاورة ، انظر " : المحرر الوجيز ٣ / ١١٩ ، وانظر : المطول ص ١٥٩ ، والبلاغة العالية - علم البيان - للشيخ / عبد المتعال الصعيدى ص ٩٨ - مكتبة الآداب - ط أولى ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م .

(٢) المطول للعلامة سعد الدين التفتازانى بحاشية السيد الشريف ص ١٥٨ ، ١٥٩ - المكتبة الأزهرية للتراث - مطبعة أحمد كامل - ط ١٣٣٠ هـ .

(٣) البرهان ٣ / ٢٠٢ .

(٤) مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصارى - تحقيق / محمد محيى الدين عبد الحميد ١ / ٧٩٢ - المكتبة العصرية - صيدا بيروت ١٤١١ هـ / ١٩٩١ .

المؤنث ناشئ من اعتقادهم الحسن فى الذكور .... وترى هذا الأسلوب فى أكثر صوره إنما يعول على السياق والقرائن ، وكأنه باب من أبواب شجاعة العربية [1] ، فهو سنة من سنن العرب فى كلامها كما يرى ابن فارس [2] .

والناظر فى فقه اللغة وسر العربية يجد الثعالبى حينما عرض لهذا الفن - أعنى التغليب - لم يعرض إلى تعريفه ، بل شرع فى الإشارة إلى نوع التغليب وذكر أمثلة وشواهد له ، غير أنه لم يذكره فى مكان واحد من كتابه ، بل أورده متناثرا ، مكررا - أحيانا - النوع الذى قد سبق وأن أشار إليه مع أمثلته .

ففى موضع من كتابه يقول : " فصل فى إجراء ما لا يعقل ولا يفهم من الحيوان مجرى بنى آدم ، وذلك من سنن العرب ، كما تقول : أكلونى البراغيث ، وكما قال عز من قائل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ﴾ [3] ، وكما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ﴾ [4] ، ويقال : إن فى ذلك تغليبا لمن يمشى على رجلين وهم بنو آدم .

---

(١) ينظر : الخصائص لابن جنى - تحقيق / محمد على النجار ٢ / ٣٩٢ - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ط ٣ ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

(٢) ينظر : الصاحبى لابن فارس - تحقيق / السيد أحمد صقر ص ٤١٩ ، ٤٢٠ - طبع مطبعة عيسى البابى الحلبى - القاهرة .

(٣) سورة النمل ١٨ ، يقول ابن عطية : " وجاءت المخاطبة كمن يعقل ، لأنها لما رأمر به من يعقل " ، المحرر الوجيز ٤ / ٢٥٤ ، والبرهان ٣ / ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

(٤) سورة النور ٤٥ ، وفى البرهان للزركشى تجعل تلك الآية من باب تغليب العاقل على غيره حيث قال : " لما تقدم لفظ الدابة ، والمراد بها عموم من يعقل ومن لا يعقل غلب من يعقل ، فقال " فمنهم من يمشى " فإن قيل : هذا صحيح فى " فمنهم " لأنه لمن يعقل ، وهو راجع إلى =

ومن سنن العرب تغليب ما يعقل ، كما يغلب المذكر على المؤنث إذا اجتمعا [1] .

وفي موضع آخر من الكتاب يقول : " فصل في الخطاب الشامل للذكران وما يفرق بينهم قال الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ ﴾ [2] ، وقال عز وجل : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [3] ، فعمم بهذا الخطاب الرجال والنساء ، وغلب الرجال ، وتغليبهم من سنن العرب [4] .

وكان ثعلب يقول : العرب تقول : امرؤ وامرآن ، وقوم وامرأة ، وامرأتان ونسوة ، ولا يقال للنساء قوم ، وإنما سمي الرجال دون النساء قوما لأنهم يقومون في الأمور ، كما قال عز ذكره : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء ﴾ [5] ، يقال : قائم وقُوَّم ، كما يقول زائر وزُوَّر ، وصائم وصُوَّم .

= الجميع فلم قال : " من " وهو لا يقع على العام ، بل خاص بالعاقل ؟ قلت : " من " هنا بمعنى " هم " وهو عموم من يعقل ، فإن قلت : فكيف يقع على بعضه لفظ ما لا يعقل ؟ قلت : من هنا قال أبو عثمان : إنه تغليب من غير عموم لفظ متقدم ، فهو بمنزلة من يقول : رأيت ثلاثة : زيدا وعمرا وحمارا ، وقال ابن الصائغ : " هم " لا تقع إلا على من يعقل ، فلما أعاد الضمير على كل دابة ، فلب من يعقل ، فقال : " هم " و" من " بمعنى هذا الضمير ، وهو للعاقل ، فلزم أن يقول " من " فلما قال : بوقوع التغليب في الضمير صار ما يقع عليه حكمه حكم العاقلين فلم ذلك بأن أوقع " من " . البرهان ٣ / ٣٠٥ .

(١) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٣٢ .

(٢) سورة البقرة : ٢٧٨ .

(٣) سورة النـــور : ٥٦ .

(٤) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٤٣ .

(٥) سورة النساء : ٣٤ ، ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ (الباء) سببية متعلقة بـ " قوامون " ، أو بمحذوف وقع حالا من ضميره ، و (ما) مصدرية ، والضمير البارز للفريقين تغليبا ، أي قوامون عليهم بسبب التفضيل الله تعالى إياهم عليهن ، أو مكتسبين بتفضيله تعالى . تفسير أبي السعود ٢ / ١٣٧ .

ومما يدل على أن القوم الرجال دون النساء قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾ [1] ، وقول زهير :

---

(١) سورة الحجرات : ١١ ، وللعلماء حول كلمة (قوم) أقوال : فهي عند ابن عطية تقع على الذكران حيث قال : " والقوم في كلام العرب واقع على الذكران ، وهو من أسماء الجمع - كالرهط والنفر ، وتقل بيت زهير : وما أدري .... إلخ ، فهذه الآية عنده للتنبيه اختصاص القوم بالذكران ، وقد يكون مع الذكران نساء ، فيقال فيهم قوم على تغليب حال الذكور ، ثم نهى - تعالى - النساء عما نهى عنه الرجال من ذلك، فالآية إذا عنده من تغليب الذكر على الأنثى ، وهناك من العلماء من خالف ابن عطية وهناك من وافقه حول معنى كلمة (قوم) ، إذ خالفه الزمخشري حيث قال : القوم الرجال خاصة ، لأنهم القوّام بأمور النساء .... واختصاص القوم بالرجال صريح في الآية ، وفي قول زهير : أقوم آل حصن أم نساء ؟ ، وفيما قوطم - والكلام للزمخشري - في قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والإناث ، فليس لفظ القوم يتعاط للفريقين ، ولكن قصد ذكر المذكور وترك ذكر الإناث ، لأنهن توابع لرجالهن ، وقد أشار الزمخشري إلى نكتة تذكير القوم والنساء فقال : هذا بفصل معين : أن يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض ، وأن تقصد إفادة الشياع . ويوافق الزمخشري في كلمة (قوم) وذكر لذلك فائدة وهي : أن عدم الالتفات والاستخفاف إنما يصدر في أكثر الأمر من الرجال بالنسبة إلى الرجال ، لأن المرأة في نفسها خفيفة ، فإذا لم يلتفت الرجال إليها لا يكون لها أمر ، أما أبو السعود والشهاب والألوسي فقد رفضوا ابن عطية وزادوا نكتة أخرى مع التغليب وهي الاكتفاء ، أي الاكتفاء بذكر الرجال عن ذكرهن ، لأنهن توابع ، ويضيف الشهاب لطيفة بلاغية أخرى من وراء سر صيغة اسم الجمع (قوم) قائلا : " واختيار الجمع لأن السخرية تغلب في الجامع " انظر : المحرر الوجيز ٥ / ١٤٩ ، والكشاف ٤ / ١٢ ، ١٣ ، ومفاتيح الغيب ١٤ / ١٢٢ ، ١٢٣ ، وتفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم للعلامة أبي السعود ٨ / ١٢٩ - دار إحياء التراث العربي بيروت - ط ثانية ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م ، وانظر حاشية الشهاب ٨ / ٢٩ ، وروح المعاني للألوسي - تصحيح إ محمد حسين العرب ١٤ / ٢٢٩ ، ٢٣٠ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت لبنان ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .

وما أدري وسوف إخال أدري ∴ أقوم آل حصن أم نساء ؟ ! [1]

وفى موضع آخر من فقه اللغة وسر العربية يقول أبو منصور الثعالبى عن التغلبى : " فصل فى إجراء غير بنى آدم مجراهم فى الإخبار عنه ، من سنن العرب أن تجرى الموات ، وما لا يعقل فى بعض الكلام مجرى بنى آدم فتقول فى جمع أرض : أرضون ، وتقول : لقيت منهم الأمرين ، وربما يتعدى هذا إلى أكثر منه ، كما قال الجعدى :

شربتُ بها والديكُ يدعو صَباحَهُ ∴ إذا ما بنو نعشٍ دنوا فتصوَّبوا [2]

وكما قال الله عز وجل : ﴿ لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [3] ، وقال جل اسمه : ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [4] ، وقال

---

(١) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

(٢) بنات نعش الكبرى سبعة كواكب ، أربعة منها نعش وثلاث بنات ، وكذلك بنات نعش الصغرى ، وقد غلب الشاعر هنا الذكور على الإناث ، وفى قوله : والديك يدعو صباحه ، استعارة بالكناية على تشبيه الصباح بمن يصح أن يدعى فيستجيب . المسائل البلاغية فى كتاب الصاحبى ص ٥٧ .

(٣) سورة يس : ٤٠ ، وقال ابن عطية : قال مكى : لما أسند إليها فعل من يعقل جمعت بالواو والنون ، انظر الوجيز ٤ / ٤٥٤ ، وروح المعانى ٢٣ / ١٣ .

(٤) سورة يوسف : ٤ ، قال سيبويه – رحمه الله – " إنه إنما قال رأيتهم فى نجوم ؛ لأنه لما وصفها بالسجود وهو من فعل من يعقل ، عبر عنها بكناية من يعقل ، وأفاد ابن عطية من قول سيبويه السابق حيث قال : وجرى ضمائر هذه الكواكب فى هذه الآية مجرى ضمائر من يعقل ، إما كانت لما وصفت بالفعال هى خاصة بمن يعقل ، والعلامة الآلوسى أضاف قوله التغلبى فى الآية أن فيها استعارة مكنية بتشبيه المذكورات بقوم عقلاء ساجدين ، والضمير والسجود قرينة ، أو أحدهما قرينة تخييلية والآخر ترشيح . الكتاب لسيبويه ٢ / ٤٧ ، والمحرر الوجيز ٣ / ٢١٨ ، وروح المعانى ٧ / ٢٧٠ .

عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ [1] ، وقال سبحانه : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنطِقُونَ ﴾ [2] ، وأكثر من قول الجعدى قول عبدة بن الطبب :

إذ أشرف الديكُ يدعو بعضَ أسرته ∴ لدى الصباح ونَمَّ [3] قومٌ تعازيلُ [4]

فجعل للديك أسرة وسماهم قوما [5]

الالتفات فى فقه اللغة وسر العربية [6] :-

---

(١) سورة النمل : ١٨ ، سبقت الإشارة إليها ص من الكتاب .

(٢) سورة الأنبياء : ٦٥ ، أورد الزركشى فى عدة آيات من بينها هذه الآية قوله : " أنه لما أخبر عن هذه الأشياء بأخبار الآدميين جرى ضميرها على حد من يعقل . البرهان ٣ / ٣٠٩ .

(٣) جاء التغلبى فى البيت من خلال الصوت عن الدجاج بالضمير (هم) حيث أخبر عنهم بخبر العقلاء ، بيد أن الجلى فى هذا البيت أن يكون استعارة بالكناية على استعارة الأسرة والقوم للدجاج . انظر : المسائل البلاغية فى كتاب الصاحبى ص ٥٨ .

(٤) الناظر فى كتابى الصاحبى لابن فارس وفقه اللغة وسر العربية للثعالبى يدرك مدى التطابق الشديد بينهما لاسيما ما يتعلق بالمسائل البلاغية وطريقة عرضها وإثارتها لدى هذين العالمين ومن ذلك التطابق ما جاء عن كليهما فى هذا البيت – وهو بيت عبدة بن الطبب – حيث قال ابن فارس عاقدا مقارنة بين هذا البيت، وبيت الجعدى السابق إذ قال ابن فارس وأكثر من قول التابعة الجعدى قول القائل ويقصد عبدة بن الطبب . أما الثعالبى فاستبدل كلمة (أكثر) بين ابن فارس بكلمة (أكبر) ولعل فى هذا ما يؤكد مدى التأثر الشديد للثعالبى بابن فارس ، ينظر : الصاحبى ص ٢١٢ ، وفقه اللغة وسر العربية ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

(٥) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

(٦) الالتفات فى اللغة : لى الشئ عن جهته ، يقال : لفت فلانا عن رأيه ، أى صرفه عنه ، فانصرف لفت ل الشئ عن الطريقة المستقيمة . لسان العرب لابن منظور ، لفت – دار صادر بيروت – ط ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ، وللعلماء فى تعريفه مذهبان معروفان ، أولهما : ما ذكره السكاكى من أنه يكون بالكناية والخطاب والغيبة ، ثلاثتها يقابل كل واحد منها ال الآخر ... وسواء كان كل منهما وارداً فى الكلام أم كان مقتضى الظاهر ، ويسمى هذا النقل عند علماء المعانى التجريد . مفتاح العلوم للسكاكى – ضبط وتعليق / نعيم زرزور ص ٩٩ – دار الكتب –

تحدث التعالبي عن صور من الالتفات تحت فصل في الرجوع من المخاطبة إلى الكناية ومن الكناية إلى المخاطبة ، ويقصد بقوله " الكناية " الغيبة ، فيقول : العرب تفعل ذلك كما قال النابغة :

يا دارَ مَيَّةَ بالعَلياءِ فالسَّنَدِ ∴ أقوَت وَطالَ عَلَيها سالِفُ الأَبَدِ

فقال : يا دار مية ، ثم قال : أقوت ، كما قال الله عز وجل : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ .. ﴾ [1] ، فقال : " كنتم في

= العلمية ببيروت - ط ثانية ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، وهذا مبني على ما ذكره الزمخشري من أن امرأ القيس قد التفت ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات :

تطاول ليلك بالأثمد ∴ ونام الخليُّ ولم ترقد ،
وبات وباتت له ليلةٌ ∴ كليلة ذي العائر الأرمد ،
وذلك من نبأ جاءني ∴ وخبرته عن أبي الأسود

وذلك على عادة العالم في الكلام وتصرفهم فيه . الكشاف ١ / ١٠ ، أما المذهب الثاني في تعريف الالتفات فهو مذهب الجمهور ونقله الخطيب ، حيث قال : المشهور عند الجمهور هو : التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنها بطريق آخر منها ، الإيضاح ٢ / ٨٦ ، وشروح التلخيص ١ / ٤٦٥ ، واشترط أن يكون الثاني جاريا على خلاف ظاهر مقتضى الكلام ، فلا يعد من الالتفات قول القائل : ألا زيد ، وأنت عمرو ، فإنه وإن جرى عليه تعريف الالتفات السابق لكنه جاء على ما يرتضيه السامع ، ينظر : ابن يعقوب ١ / ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، وعن فائدته يقول صاحب المطول : " إن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان أحسن نطرية - أي تجديدا ونشاطا - لنشاط السامع ، وأكثر إيقاظا للإصغاء إليه أي إلى هذا الكلام ، ينظر : المطول ص ١٣٤ .

(١) سورة يونس : ٢٢ ، الالتفات من الخطاب في " كنتم " إلى الغيبة في " جرين " وفائدته - كما ذكر الزمخشري - هنا المبالغة كأنه - سبحانه وتعالى - يذكر لغيرهم حاضر ليعجبهم منها ، ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح ، أما أبو حيان فذكر السر بقوله : الالتفات إلى الغيبة عند حضور ما لا يليق فهم ، أما البقاعي فيقول : إنه - سبحانه وتعالى - أقبل عليهم تنبيها على أنه جعلهم بما فيهم من القوى أهلا لخطابه ، ثم أعرض عنهم إشارة إلى أنهم استحقوا الإعراض لإعراضهم اختيارا له لأجلهم من الرياح الطيبة في محل يجب فيه الإقبال عليه . والغني عن =

الفلك " ، ثم قال : " بهم " ، وكما قال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [1] ، فرجع من الكناية إلى المخاطبة، كما رجع في الآية المتقدمة من المخاطبة إلى الكناية [2] .

وفي موضع آخر من فقه اللغة وسر العربية يقول أبو منصور الثعالبي : فصل في الالتفات هو : أن تذكر الشيء ، وتتم معنى الكلام به ، ثم تعود لذكره ، كأنك تلتفت إليه كما قال أبو الشعب :

فارقت شعبا وقد قوست من كبري ∴ لبئست الخلتان : الشكل والكبر [3]

فذكر وصيته بأبنه مع تقومه من الكبر ، ثم التفت إلى معنى كلامه فقال : لبئست الخلتان ، وكما قال جرير :

أتذكر يوم تصقل عارضيها ∴ بعود بشامة سقي البشام

= كل ما سواه لعظم الخطر وشدة الأمر . انظر : الكشاف ٢ / ١٨٦ ، والبحر المحيط ٦ / ٣٣ ، ٣٤ ، ونظم الدرر ٣ / ٤٣٢ .

(١) الفاتحة : ٢ - ٥ ، فقد التفت من الغيبة وهو " مالك " إلى الخطاب وهو : " إياك نعبد " ، وذلك أن تقول : إن كان التقدير : قولوا الحمد لله ، والثاني : " إياك " فيه على خلاف الأسلوب السابق ، وإن لم يقدر : " قولوا " كان في " الحمد لله " التفات عن المتكلم إلى الغيبة ، فإن الله سبحانه حمد نفسه ، ولا يكون في " إياك نعبد " التفات ، لأن " قولوا " مقدرة معها قطعا ؛ فإما أن يكون في الآية التفات ، أو لا التفات بالكلية . الزوزني ٣ / ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، فقه اللغة وسر العربية ص ٢٣٢ .

(٢) وفي البيت سوى الالتفات توشيح وهو نوع من أنواع الإطناب - في الإيضاح بعد الإتمام - وهو أن يأتي في عجز الكلام بمعنى مفسر باثنين أحدهما معطوف على الآخر ، كما هو راجح في الشطر الثاني من البيت في قوله " الخلتان : الشكل والكبر " وقد نبه هذا الفيروزابادي من هذين الدامغين للذين كنا به . ينظر : الإيضاح ص ١١٢ .

وكما قال الله عز وجل : ﴿ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ﴾ [١] ، فنهى عن الافتراء ، ثم وعد عليه : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ﴾ [٢] [٣] .

أمثلة القلب فى فقه اللغة وسر العربية :

القلب نوع من إخراج الكلام على غير مقتضى الظاهر ، يقول عنه سيبويه : " وهو أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر ، والآخر مكان ذلك الأحد على وجه يثبت حكم كل منهما للآخر " [٤] ، ويرى صاحب المفتاح أنه يورث الكلام ملاحة ويصل به إلى كمال البلاغة [٥] ، والقلب أسلوب من أساليب البلاغة ، كان للعلماء فيه آراء متباينة ، حيث قبله بعضهم مطلقا [٦] ،

---

(١) سورة طه : ٦١ ، والالتفات فى الآية من الخطاب " لا تفتروا ... " إلى الغيبة " وقد خاب ..... " .

(٢) وفى هذا الموضع من فقه اللغة وسر العربية نجد الثعالبى يعرض للالتفات فيعرفه ويمثل له ، بينما نجده فى موضع سبق هذا الموضع بكثير عرض لأمثلة وصور للالتفات دون تعرضه لتعريفه ، وكان الأولى أن يعرفه عند أول تعرض له .

(٣) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٩٨ .

(٤) هذا ما ذهب إليه سيبويه ، غير أنه يرى أن الجيد إجراء الكلام على ظاهره ، وهو عنده من السعة فى الكلام ، يقول : " وأما قوله : أدخل فوه الحجر ، فهذا جرى على سعة الكلام ، والجيد : أدخل فاه الحجر ، ينظر : الكتاب ١ / ١٨١ وتبع سيبويه أبو عبيدة ، وأبو على الفارسى ، وابن فارس ، ينظر : مجاز القرآن لأبى عبيدة - تحقيق / محمد فؤاد سزكين ١ / ٦٣ ، ٦٤ - مكتبة الخانجى بمصر ، وينظر : كتاب الشعر لأبى على الفارسى - تحقيق / محمود محمد الطناحى ص ١٠٥ - مطبعة المدنى - ط أولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

(٥) مفتاح العلوم ص ٢٢١ .

(٦) وهو مذهب ابن سنان الخفاجى ، وقدامة ابن جعفر ، وابن جنى ، أما ابن قتيبة فيجيز ما جاء منه على التقديم والتأخير ، أما الآمدى فالقلب عنده نوعان : سائغ حسن ، وقبيح ، ينظر : على الترتيب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى - تصحيح الشيخ / عبد المتعال الصعيدى ص ١٠٣ - ١٠٨ - مطبعة محمد على صبيح ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ، ونقد الشعر لقدامة بن جعفر - تحقيق / محمد عبد المنعم خفاجى ص ٢٠٩ - ط أولى ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

ورده آخرون [١] ، وفصل آخرون فيه ، فإن تضمن اعتبارا لطيفا قبل ، وإلا فلا [٢] .

وتحدث الثعالبى عن القلب فقال : " من سنن العرب القلب فى الكلمة وفى القصة ، أما فى الكلمة فكقولهم : جذب ، وجبذ ، وضب ، وبض ، وبكل ولبك ، وطمس وطسم ، وأما فى القصة فكقول الفرزدق :

..... ∴ كما كانَ الزِّناءُ فريضَةَ [٣] الرَّجمِ

أى كما كان الرجم فريضة الزنا ، وكما قال :

..... ∴ وَتَشقَى الرِّماحُ بِالضَّياطِرَةِ الحُمرِ [٤]

أى : وتشقى الضياطرة الحمر بالرماح ، وكما يقال : أدخلت الخاتم فى أصبعى ، وإنما هو إدخال الأصبع فى الخاتم ، وفى القرآن :

﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ [٥] ، وإنما العصبة أولوا القوة تنوء بالمفاتيح [٦] .

---

(١) انظر : الخصائص ٢ / ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، وتأويل مشكل القرآن ١٩٣ - ٢٠٠ ، والموازنة بين أبى تمام والبحترى - تحقيق / السيد أحمد صقر ١ / ٢١٩ ، ٢٢٠ - دار المعارف - ط ثانية ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

(٢) وهو أوسط المذاهب فى الحكم ، وهو ما ذهب إليه الخطيب وتبعه فيه شراحه ، وهو الأولى بالقبول حيث يرى أنه إن تضمن اعتبارا لطيفا قبل ، وإلا فلا . ينظر : الإيضاح ٢ / ٩٨ ، والشروح ١ / ٤٨٨ وما بعدها .

(٣) يريد بالفريضة : الحد .

(٤) الضياطرة : جمع ضيطر ، وهو الرجل الضخم الذى لا غناء عنده ..... والمعنى : أن الرماح تشقى بهم أى أنهم لا يحسنون حملها ولا الطعن بها ، ويجوز أن يكون على القلب أى : تشقى الضياطرة الحمر بالرماح ، أى يقتلون بها . انظر : اللسان : مادة " ضطر " .

(٥) سورة القصص ٧٦ ، والآية عند الطبرى من قلب الإسناد ، لأن ظاهره أن المفاتيح تنوء بالعصبة ، ومعناه : أن العصبة تنوء بالمفاتيح لثقلها ، فأسند " تنوء " إلى " المفاتيح " والمراد إسناده إلى العصبة ، لأن الباء للحال والعصبة مستصحبة المفاتيح ، لا تستصحبها المفاتيح ، وقالت طائفة : تحمل المفاتيح كأنها مستتبعة للعصبة القوية بثقلها ، وقيل : لا قلب فيه ، والمراد - والله أعلم - أن المفاتيح تنوء بالعصبة ، أى تميلها من ثقلها ، وقد ذكر هذا الفراء وغيره . انظر : الطبرى ٢٠ / ١٠٨ ، ١٠٩ والبرهان ٣ / ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

(٦) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٨١ .

ما جاء من وضع المضمر موضع المظهر :

الأصل فى الأشياء أن تكون ظاهرة ، وأصل المحدث عنه كذلك ، والأصل فى الضمير ألا يذكر حتى يكون قد سبقه ما يدل عليه ليكون المقصود بالكلام واضحا ، تقول : لقيت عليا وأكرمته ، فتذكر الضمير فى أكرمته ؛ لأنه سبقه ما يعود عليه ، ولا تقول : لقيته ، هكذا ابتداء ؛ لأن ذلك ضرب من التعمية والإلباس ويناقض القصد من اللغة والبيان [1] .

وهذا أصل متفق عليه عند علماء البيان ، ومع ذلك فقد جاءت أساليب تخالف ذلك ، وهى فى درجة عالية من البلاغة ، اتفق العلماء على خروجها على خلاف مقتضى الظاهر .

وفى فقه اللغة وسر العربية تكلم الثعالبى عن وضع المضمر موضع المظهر وإن لم يسمه بهذا الاسم ، وذلك حيث يقول : " فصل فى الكناية عما لم يجر ذكره من قبل ، فالعرب تقدم عليها توسعا واقتدارا واختصارا ثقة بفهم المخاطب ، كما قال عز ذكره : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [2] ، أى : من على الأرض ، وكما قال : ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ [3] ، يعنى : الشمس ، وكما قال عز وجل : ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ ﴾ [4] ، يعنى : الروح ، فكنى

---

(١) ينظر . البرهان ٢ / ٤٨٤ .

(٢) سورة الرحمن : ٢٦ ، يقول ابن عطية : والضمير فى قوله : " كل من عليها فان " للأرض ، أى كل من على ظهر الأرض من جن وإنس فإنه هالك . الطبرى ٢٧/ ١٣٤ ، وأبو السعود ٨ / ١٧٦ وكنى عنها ولم يتقدم لها ذكر لوضوح المعنى .

(٣) سورة ص ٣٢ ، والضمير فى " توارت " للشمس ، وإن كان لم يجر لها ذكر صريح ، ولأن المعنى يقتضيها ، وأيضا فذكر العشى يقتضى لها ذكرا ويتضمنها ؛ لأن العشى إنما هو مقدار متوهم لها انظر : تفسير البغدادى ٥/ ٤٩ ، وأبو السعود ٧/ ٢٢٦ .

(٤) سورة القيامة ، ٢٦ ، وفى روح المعانى ، إذا بلغت أى : النفس أو الروح ، والدال على سياق الكلام ، كما فى قول حاتم وذكر البيت . انظر . روح المعانى ٢٩ / ١٤٦ .

عن الأرض ، والشمس ، والروح ، من غير أن أجرى ذكرها ، وقال حاتم الطائى :

أماوِيُّ ما يُغنِي الثَّراءُ عَنِ الفَتى ∴ إذا حَشْرَجَتْ يَوْماً وضاقَ بها الصَّدْرُ

يعنى : إذا حشرجت النفس ، وقال دعبل :

إن كانَ إبراهيمُ مُضطلِعاً بها ∴ فَلَتَصْلُحَنْ مِن بَعدِهِ لَمُخارِقِ [1]

يعنى : الخلافة ، ولم يسمها فيما قبل ، وقال عبد الله بن المعتز :

وَكَدمانٍ ذَعَوتُ وَهَبَّ نَحوي ∴ وَسَلسَلَها كَما الخَرَطَ العَقيقُ

يعنى : وسلسل الخمر ، ولم يجر ذكرها [2] .

ما ورد من وضع المفرد موضع المثنى وعكسه :

هذه طريقة من طرائق التعبير فى القرآن الكريم يقول ابن رشيق عنها : " أنها إذا وقعت فى القرآن الكريم " وقعت فيه بلاغة وإحكاما لا تصرفا وضرورة ، وإذا وقع مثلها فى الشعر لم ينسب إلى قائله عجز ولا تقصير ، كما يظن من لا علم له ولا تفتيش عنده " [3] .

وقد أشار ابن السبكى إلى الفائدة العامة لهذا التحول فى الكلام ، وهى أن المفرد يوضع موضع المثنى للدلالة على أنهما صارا كالشيئين اللذين لا يفنى أحدهما عن الآخر ، ويأتى " التعبير بالمثنى عن المفرد توكيدا بتقسيم الشىء إلى شيئين ... والإشعار بإرادة تكرار الفعل ، وأن الفعلين امتزجا وصار حضور أحدهما حضورا للآخر [4] .

---

(١) المخارق : الرجل الذى يتصرف فى وجوه الطرب . اللسان (خرق) .

(٢) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(٣) العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيروانى - تحقيق / محمد محيى الدين عبد الحميد ١ / ٢٧٧ - دار الجيل بيروت - ط خامسة ١٤٠١ هـ /١٩٨١ م .

(٤) عروس الأفراح لابن السبكى ١ / ٤٩٢ (ضمن شروح التلخيص) بتصرف قليل .

تلك هي الفائدة العامة لوضع كل من المفرد والمثنى موضع صاحبه ، ولكل مقام غرضه الذى يتحسس من وراء التعبير .

والناظر فى فقه اللغة وسر العربية لأبى منصور الثعالبى يجده - على غير عادته - أبدى وأعاد فى هذا الباب حيث وجد لديه أكثر من صورة ، فمالى جانب وضع المفرد موضع المثنى وعكسه ، أورد أمثلة وشواهد لوضع الجمع موضع المفرد وعكسه ، وكذلك لوضع الجمع موضع المثنى وغير ذلك مما سيأتى فى موضعه إن شاء الله تعالى [1] .

أولا : وضع المفرد موضع المثنى :

يقول الثعالبى : فصل فى الجمع بين شيئين ثم ذكر أحدهما فى الكناية دون الآخر والمراد به كلاهما معا ، وهو من سنن العرب أن تقول : رأيت عمرا وزيدا ، وسلمت عليه ، أى عليهما ، كما قال الله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [2] ، وتقدير الكلام :

---

(١) يلاحظ أن هذه التسميات لم يسمها الثعالبى كما أوردنا فى صلب الصفحة ، ولكن تسميات أخرى ستورد خلال البحث .

(٢) سورة التوبة : ٣٤ ، ويشير الطوفى إلى نكتة التعبير بالمفرد عن المثنى فى الآية فيقول : " فإن قيل فقد قال الله تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة) فذكر جنسين ، ثم قال (ولا ينفقونها) بالهاء كناية ترجع إلى جنس واحد ، ولم يقل : ولا ينفقونهما ليرجع الكناية إليهما ، فعن ذلك جوابان : أحدهما : أن الكناية راجعة إلى الكنوز والتقدير ولا ينفقون الكنوز فى سبيل الله ، والثانى : أنه قال ذلك اكتفاء بذكر أحدهما عن الآخر لدلالة الكلام على اشتراكهما فيه كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾ سورة الجمعة : ١١ ، ولم يقل إليهما ، ويزيد الطوفى الأمر إيضاحا فيقول : " إن الذهب مؤنث ، وهو جمع واحده ذهبة ، وهذا الجمع ليس بينه وبين واحده إلا الهاء بتذكير ويؤنث ، ثم لما اجتمعا فى التأنيث وكان كل واحد منهما يأخذ عن صاحبه فى الزكاة على قول جمهور العلماء جعلهما كالشئ الواحد ، ورد الضمير إليهما بلفظ التأنيث ، كما أنه اكتفى بأحدهما عن الآخر للإيجاز ، ورد الضمير إلى الفضة لأنها أقرب إليه ، كما قال حسان بن ثابت :

ولا ينفقونهما فى سبيل الله ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾ [1] وتقديره : انفضوا إليهما ، وقال جل جلاله :

﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ [2] ، والمراد : أن يرضوهما [3] .

= إن شرح الشهاب والشعر الأبى .. سورة ما لم يعلم كان شيوعا

ولم يقل : يعاب ، انظر : النكت والعيون " تفسير الماوردى " - تحقيق / السيد عبد المقصود عبد الرحيم ٢ / ٣٥٨ ، ٣٥٩ - ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان - ط أولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .

(١) سورة الجمعة : ١١ ، وفى الفرر الوجيز : وقال تعالى : " إليها " ولم يقل " إليهما " لمعنى ، إذ هى كانت سبب اللهو ولم يكن اللهو سببها ، ويوضح أبو السعود بأن العلة من الانفضاض هو التجارة ، أن الانفضاض للتجارة مع الحاجة إليها ، والانفضاض لما إذا كان مشوبا لها شئ بالانفضاض بالكلية إلى اللهو ، وهو مذموم فى نفسه . انظر : الفرر الوجيز ٥ / ٣١٠ ، وكذا : معانى القرآن ٣ / ١٥٧ ، ومجاز القرآن ٢ / ٤٥٧ ، وإرشاد العقل السليم ٨ / ٢٥٠ .

(٢) سورة التوبة : ٦٢ ، وللعلماء فى تلك الآية أقوال : فمذهب سيبويه " أنها حذفت الواو لدلالة الثانية عليها " والتقدير عنده : والله أحق أن يرضوه ، ورسوله أحق أن يرضوه ، وهذا كقول الشاعر :

نحن بما عندنا وأنت بما .. عندك راض والرأى مختلف

ومذهب المبرد : أن فى الكلام تقديما وتأخيرا ، وتقديره : والله أحق أن يرضوه ورسوله ، وفى الضمير فى " يرضوه " عائد على المذكور قبله ، كما قال رؤبة :

فيها خطوط من سواد وبلق .. كأنه فى الجلد توليع البهق

وذهب ابن عطية فى تأويل ذلك إلى وجوه ثلاثة : أحدها : أن يكون المعنى الأول والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه كما قال سيبويه ، وهذا يكون على حذف المسند والغرض الاختصار ، والثانى : أن يكون المعنى على التقديم والتأخير ، والتقدير : والله أحق أن يرضوه ورسوله وهو مذهب المبرد ، والثالث : أن يكون الضمير عائدا على المذكور قبله انظر : الكتاب ١/٥٧ ، وانظر كتاب : المقتضب للمبرد - تحقيق / محمد عبد الخالق عضيمة ٣ / ١١٢ ، ١١٣ ، ٤ / ٧٣ - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامى بالقاهرة ١٩٨٦ م ، والفرر الوجيز ٣ / ٥٢ . على أن هناك من العلماء من أشار إلى العلة فى ذلك وهى دلالة المعنى عليه ، وذلك غير ملبس فى إرادة الثانية ، وجعلوا العلة البلاغية هى طلب الخفة ، وذلك لأن الإفراد أخف من التثنية ، أما الزمخشرى فقد جعل النكتة البلاغية فى ذلك هى الإشعار بأنه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله ﷺ لكونه فى حكم مرضى واحد . انظر : معانى القرآن ١ / ٤٤٥ . وانظر : تأويل مشكل القرآن ص ٢٨ ، ومعانى القرآن وإعرابه ٢ / ٤٥٨ ، والكشاف ٢ / ١٦٠ .

(٣) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٣٣ .

وإما هو من وضع المفرد موضع المثنى فى فقه اللغة وسر العربية وإن كان التعالبى قد وضعه فى موضع آخر من كتابه سوى ما سبق ، كما وضع له عنوانا مغايرا بعض الشئ لما ذكره أولا قوله : " فصل فى مخاطبة اثنين ثم النص على أحدهما دون الآخر ، العرب تقول : ما فعلتما يا فلان ، وفى القرآن : ﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴾ [١] ، وفيه : ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴾ [٢] ، خاطب آدم وحواء ، ثم نص فى إتمام الخطاب على آدم وأغفل حواء [٣]

ثانيا : وضع المثنى موضع المفرد :

غنى عن البيان أن فى " العدول من حالة إلى حالة هو الرغبة فى تنويع الكلام ، وعدم السير على منوال واحد ، فإذا أكثر راحة فى النفس ، وتبديدا لسآمة التى تنشأ من جريان الكلام على نمرة واحدة [٤] ، كما أن المتأمل لهذا التعبير فى القرآن الكريم يجده زاخرا بالنكات واللفتات البلاغية غير ما ذكره البلاغيون من إرادة التأكيد ، فليس فى كل تعبير بالمثنى عن المفرد يراد التأكيد ،

---

(١) سورة طه : ٤٩ ، وفى البرهان " فمن ربكما يا موسى " أى : ويا هارون ، وفيه وجهان : أحدهما : أنه لما أمر موسى - عند السلام بالنداء - تعين التخصيص والوقف ، إذ كان هو صاحب عظم الرسالة وكريم الآيات ، ذكره ابن عطية ، والثانى : لما كان هارون أفصح لسانا منه على ما نطق به القرآن تحت عن جواب الخصم الألد ، ذكره صاحب الكشاف ، وانظر إلى الفرق بين الجوابين . البرهان ٢ / ٢٤٠ ، والبحر الوجيز ٤ / ٤٦ ، والكشاف .

(٢) سورة طه ١١٧ ، قال ابن عطية : إنما أفرده بالشقاء من حيث كان المخاطب أولا والمقصود فى الكلام ، وقيل : بل ذلك لأن الله جعل الشقاء فى معيشة الدنيا فى حيز الرجال ، ويحتمل الإفضاء عن ذكر المرأة ، ولفظ قبل : من الكرم ستر الحرم . انظر : البحر الوجيز ٤ / ٦٧ ، والبرهان ٢ / ٢٤٠ ، ٢٤١ .

(٣) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٩٠ .

(٤) ذكر البحث البلاغى - د / عبد العزيز حسين ص ١٠٩ - دار غريب للطباعة والنشر ١٩٩٨ م .

بل إن هناك من الأسرار التى يكشف عنها سياق القرآن - وما أكثر سياقاته - ما يجعلك تسلم بدقة القرآن فى اختيار مفرداته وألفاظه ، وما ينطوى عليه كل تعبير من إيحاءات تلامس القلوب وتعانق الوجدان ، وتدهش الألباب ، ولم هذا قصرا على هذا التعبير بل يشمل غيره من تبادل مع الإفراد والجمع [١]

وقد تحدث التعالبى فى فقه اللغة تحت فصل فى أمر الواحد بلفظ أمر الاثنين ، إذ يقول : " تقول العرب : افعلا ذلك ، والمخاطب واحد ، كما قال الله عز وجل : ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [٢] ، وهو خطاب لمالك خازن النار ، وكما قال الأعشى :

وَصَلِّ عَلَى خَيْرِ الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى ∴ وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاعْبُدَا

ويقال : إنه أراد : والله فاعبدن فقلب النون الخفيفة ألفا ، وكذلك فى قوله عز وجل : ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ ﴾ [٣] [٤]

وفى موضع آخر من فقه اللغة يورد التعالبى شاهدين آخرين من قبيل وضع المثنى موضع المفرد فيقول : " فصل فى الاثنين يسند الفعل إليهما وهو

---

(١) ينظر : الإعجاز البيانى فى صيغ الألفاظ - دراسة تحليلية للإفراد والجمع فى القرآن - د / محمد الأمين الخضرى ص ٥ - مطبعة الحسين الإسلامية - ط أولى ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م .

(٢) سورة ق : ٢٤ ، والآية وضعها الزركشى تحت خطاب الواحد والجمع بلفظ الاثنين وأورد الآية وذكر الفراء قال : الخطاب لخزنة النار والزبانية ، وأصل ذلك أن الرفقة أدنى ما تكون من ثلاثة نفر ، فجرى كلام الواحد على صاحبه ، ويجوز أن يكون الخطاب للملكين الموكلين من قوله : ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ سورة ق : ٢١ ، وقال أبو حيان الغرناطى - صاحب كتاب التصفح وشيخ لغاة النحاة - قال : لما لم الضمير استغنى عن أن يقول : ألقيا ، يشير إلى إرادة التأكيد اللفظى ، انظر : البرهان ٢ / ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

(٣) ويكون المعنى : ألقيان فى جهنم

(٤) ينظر : فقه اللغة وسر العربية ص ٢٣٥ .

لأحدهما ، وقد تقدم في بعض الفصول ما يقاربه ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾ [1] ، وكان النسيان من أحدهما ؛ لأنه قال : ﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ [3] ، أي : كلاهما يجتمعان ، وأحدهما عذب ، والآخر ملح ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ ﴾ [4] ، أي حاجز ، ثم قال : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ [5] ، وإنما يخرج من الملح لا من العذب [6] .

وضع المفرد موضع الجمع وعكسه :

أولا : وضع المفرد موضع الجمع :

تحدث أبو منصور الثعالبي عن ذلك تحت قوله : " فصل في إقامة الواحد مقام الجمع " إذ قال : هي من سنن العرب إذ يقول : قررنا بـه عينـا ، أي :

---

(١) سورة الكهف : ٦١ ، قال ابن عطية وقال " نسيا " وإنما كان النسيان من الفتى وحده ، لسبي أن يضم موسى لما رأى من حاله من حيث كان لهما واحدا ، وكانا يسبب منه فنسب فعل الواحد إليهما ، وهذا كما تقول : فعل بنو فلان لأمر إنما فعله منهم بعض . انظر : المحرر الوجيز ٣ / ٢٢٨ .

(٢) سورة الكهف : ٦٣ .

(٣) سورة الرحمن : ١٩ .

(٤) سورة الرحمن : ٢٠ .

(٥) سورة الرحمن : ٢٢ ، قال البيضاوي في قوله تعالى : " يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان " ، وإن صح أن الدر يخرج من الملح فعلى الأول إنما قال منهما ، لأنه يخرج من مجتمع الملح والعذب ، أو لأنهما لما اتصلا صارا كالشيء الواحد ، فكان المخرج من أحدهما كالمخرج منهما . انظر : تفسير البيضاوي ٥ / ٢٧٥ ، وأبي السعود ٨ / ١٨٠ ، والآلوسي ٢٧ / ١٠٦ .

(٦) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

أعينا ، وفي القرآن : ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا ﴾ [1] ، وقال جل ذكره : ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ [2] ، أي : أطفالا ، وقال تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا ﴾ [3] ، وتقديره : وكم ملائكة في السماوات ، وقال عز من قائل : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [4] ، وقال : ﴿ هَؤُلاء ضَيْفِي ﴾ [5] ، ولم يقل : أعدائي ولا أضيافي [6] !

وقال جل جلاله : ﴿ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ [7] ، والتفريق لا يكون إلا بين اثنين ، والتقدير : لا نفرق بينهم ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء ﴾ [8] ، وقال : ﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا

---

(١) سورة النساء : ٤ ، ويلاحظ أن الثعالبي هنا لم يقدر الجمع " أنفسا " ولعله يكون حسنا نظيرا .

(٢) سورة الحج : ٥ ، وقد كشف ابن جني عن علة الإفراد في الآية بقوله : " ولقد حسن الإفراد ، لأنه موضع تصغير لشأن الإنسان وتحقير لأمره " . انظر : المحتسب لابن جني - تحقيق / علي النجدي ناصف ، ود / عبد الفتاح إسماعيل شلبي ٢ / ٢٦٧ - ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

(٣) سورة النجم : ٢٦ .

(٤) سورة الشعراء : ٧٧ ، فإنهم عدو لي ، يريد أنهم أعداء لعابديهم ... وإفراد العدو لأنه في الأصل مصدرا أو بمعنى النسب . انظر : تفسير البيضاوي ٤ / ٢٤٢ وقيل : " في الكلام قلب لأن الأصنام لا تعادي وإنما هو عادتها ... ولفظ عدو يقع للجمع والمفرد والمؤنث والمذكر " . انظر : المحرر الوجيز ٤ / ٢٣٤ .

(٥) سورة الحجر : ٦٨ ، الآية ليست من قبيل وضع المفرد موضع الجمع لأن : " الضيف " مصدر وصف به ، فيقع للواحد والجميع والمذكر والمؤنث . انظر : تفسير ابن عطية ٣ / ٣٦٩ .

(٦) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٣٤ .

(٧) سورة البقرة : ٢٣٦ ، ومن العلماء من رأى في الآية حذفا حيث قال : في الكلام حذف تقديره : بين أحد منهم وبين نظيره ، فاختصر للفهم السامع . انظر : المحرر الوجيز ١ / ٢١٥ .

(٨) سورة الطلاق : ١ ، والعلماء حول مخاطبة النبي ﷺ قوال : ففي قوله " طلقتم " قال بعض النحويين - حكاه الزهراوي - في ذلك خروج من مخاطبة الواحد إلى مخاطبة جماعة ، وهذا موجود ، وقال آخرون منهم في نداء النبي ﷺ أردفت أمته معه ، فلذلك قال " إذا طلقتم " ، وقال آخرون منهم إن المعنى : " يا أيها النبي " قل لهم " إذا طلقتم " ، وقال آخرون : =

فَاطَّهَّرُواْ ﴾ [١] ، وقال : ﴿ وَالْمَلاَئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [٢] ، ومن هذا الباب سنة العرب أن يقولوا للرجل العظيم والملك الكبير : انظروا في أمري ، ولأن السادة والملوك يقولون : نحن فعلنا ، وأنا أمرنا ، فعلى قضية هذا الابتداء يخاطبون في الجواب كما قال تعالى عمن حضره الموت : ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ [٣] [٤] .

ثانيا : وضع الجمع موضع المفرد :

إن " العدول عن الواحد إلى الجمع ، أو مخاطبة الجماعة بخطاب الواحد هو لون من التصرف في الصيغ ، وفن من فنون الخروج عن ظواهر الأحوال ، يفجأ القارئ بما يفتح باصرته على لون من سامق البيان ، ويفتح بصيرته على أقباس من أسرار الإعجاز ، ويلقي في ذوقه شوبا من بلاغة النظم الحكيم ، وهو كذلك لون من ألوان المجاز ، يصبغ الواحد بصيغة الجمع ، فيكثر قليه ، ويعظم حقره ، ويخرج الجمع في صورة الواحد ليحيل كثرته قلة ، وتعاظمه ضعة ،

= إنه من حيث يقول الرجل العظيم فعلنا وصنعنا خوطب النبي ﷺ بـ "طلقتم " إظهارا لتعظيمه ردها على نحو قوله -تعالى- في عبد الله بن أبي : ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ ﴾ سورة المنافقون : ٧ ، إذا كان قوله مما يقوله جماعة ، فكذلك النبي ﷺ في هذه الآية ما يخاطب به غير خطاب الجماعة ، قال ابن عطية : والذي يظهر لي في هذا أنهما خطابان مفترقان ، خوطب النبي ﷺ على معنى تنبيهه لسماع القول وتلقي الأمر ، ثم قيل له : " إذا طلقتم " أي أنت وأمتك ، فقوله : " إذا طلقتم " ابتداء الكلام لو ابتدأ السورة به . انظر : المحرر الوجيز ٥ / ٣٧٠ ، وفي البرهان : يجعله تحت خطاب المؤمنين فيقول : وجاء التعبير المتلون ، وتسمية أهل المعاني الالتفات . انظر : البرهان ٢ / ٢٤٦ ، وينظر : روح المعاني ١٥ / ١٩١ .

(١) سورة المائدة : ٦ .

(٢) سورة التحريم : ٤ .

(٣) سورة المؤمنون : ٩٩ ، وذكر الزركشي ما ذكره التعالبي وزاد قوله " وقيل رب " استعانة ، و " ارجعون " خطاب للملائكة فيكون التفاتا ، أو جمعا لتكرار القول ، كما قال " قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل " . انظر : البرهان ٢ / ٢٣٥ .

(٤) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٣٥ .

وفرقه ائتلافا ووحدة ، وهو قبل ذلك ضرب من ضروب الإيجاز ، تتسامى به المعاني ، وتتكاثر دون أن يزيدك في لفظه ، غاية الأمر أن ينقلك من صيغة إلى صيغة ، ويستبدل هيئة هيئة أخرى ، فإذا أنت معه مخاطب غائب في آن ، كثير قليل معا " [١] .

ووضع الجمع موضع المفرد ورد عند التعالبي تحت قوله : : " فصل في الجمع يراد به الواحد ، من سنن العرب الإتيان بذلك ، كما قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ اللهِ ﴾ [٢] ، وإنما أراد المسجد الحرام ، وقال عز وجل : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ [٣] ، وكان القاتل واحدا [٤] .

ثالثا : وضع الجمع موضع المثنى :

وصورة وضع الجمع موضع المثنى يكشف ابن السبكي عن بلاغتها في الكلام فيقول : يجوز أن تكون قصدت المبالغة بتقسيم كل من الشيئين إلى أشياء ، أو تكون قصدت المبالغة في أحدهما بتقسيمه دون الآخر ، لأن الجمع

---

(١) الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ ص ٤ ، ٥ .

(٢) سورة التوبة : ١٧ ، إنما يعمر مساجد الله ، أي المسجد الحرام ، قيل هو الواحد ، وإنما جمع لأنه قبلة المسلمين ، وقد ورد كلمة " مساجد " في الآية ١٨ من السورة نفسها في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ ..... ﴾ الآية ، وقد أورد ابن عطية قوله " له قرئ بالإفراد والجمع في الموضعين ، واللفظ الجمع يقتضي عموم المساجد كلها ، ويحتمل أن يراد به المسجد الحرام وحده ، على أن يقدر كل موضع مسجود فيه مسجدا ثم يجمع ، واللفظ الإفراد في موضعين يقتضي خصوص المسجد الحرام وحده ، ويحتمل أن يراد به الجنس فيعم مساجد كلها ، والأرجح من ذلك إضافته كما ذهب إليه من لا يعبر له . ينظر : المحرر الوجيز ٣ / ١٥ .

(٣) سورة البقرة : ٧٢ .

(٤) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٣٥ .

يحصل بثلاثة [١] ، ويكون ذلك " في شيئين مما في بدن الإنسان منه واحد [٢] ، وعن تلك الصورة يقول التعالبي : من سنن العرب إذا ذكرت اثنين ، أن تجريهما مجرى الجمع ، كما تقول عند ذكر العمرين والحسنين كرم الله وجوههما ، وكما قال عز وجل : ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [٣] ، ولم يقل : قلباكما ، وكما قال عز وجل : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ [٤] ، ولم يقل يديهما [٥] .

وفي الصورة نفسها يقول التعالبي في موضع آخر من فقه اللغة وسر العربية : فصل في إجراء الاثنين مجرى الجمع ، قال الشعبي في كلام له في مجلس عبد الملك بن مروان : رجلان جاءوني ، فقال عبد الملك : لحنت يا شعبي ! ، قال : يا أمير المؤمنين لم ألحن مع قول الله عز وجل : ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ [٦] ، فقال عبد الملك : لله درك يا فقيه العراقين ! قد شفيت وكفيت [٧] .

---

(١) عروس الأفراح ١ / ٤٩٣ (ضمن شروح التلخيص) .

(٢) كتاب الجمل للزجاجي ص ٣١٢ ، ٣١٣ - تحقيق د / علي توفيق الحمد - مؤسسة الرسالة - دار الأمل .

(٣) سورة التحريم : ٤ ، وهناك من قال في هذه الآية : أن تسويغ مجيء الجمع موضع المثنى هو أمن اللبس في اللفظ .... فقد جمع القلوب من حيث الإنسان جمع ، ومن حيث لا لبس في اللفظ .... وفي الآية : إن ابنما فقد كان منكما ما ينبغي أن يتاب منه ، وقيل : أن الجمع في " قلوبكما " دون التثنية والإفراد ، ينظر : المحرر الوجيز ٥ / ٣٣١ ، وروح المعاني ١٥ / ٢٢٦ ، والبرهان ٢ / ٢٤١ .

(٤) سورة المائدة : ٣٨ ، قال البيضاوي : المراد بالأيدي : الأيمان ويؤيده قراءة ابن مسعود - رضي الله عنه - أيمانهما ، ولذلك صاغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تعالى : ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ أعضاء بشبة المضاف إليه . البيضاوي ٢ / ٣٢٣ ، وروح المعاني ٦ / ٢٣٢ .

(٥) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٢٣ .

(٦) سورة الحج : ١٩ ، وقوله تعالى : " خصمان " يريد طائفتين ، لأن لفظة خصم مصدر يوصف به الجمع والواحد ويدل على أنه أراد الجمع قوله : " اختصموا " فإنها قراءة الجمهور ، وقرأ ابن أبي عبلة " اختصما في ربهم " . المحرر الوجيز ٤ / ١١٤ ، والنظر : البرهان ٢ / ٢٤١ .

(٧) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٣ .

التعبير عن الجماعتين بالمثنى :

ورد ذلك عند التعالبي تحت قوله : " فصل في الإخبار عن الجماعتين بلفظ الاثنين ، العرب تفعله ، كما قال الأسود بن يعفر :

إن المنايا والحتوف كليهما ∴ في كل يوم ترقبان سوادي

وقال آخر :

لم يحزنك أن حبال قيس ∴ وتغلب قد تباينت انقطاعا

وقد جاء مثله في القرآن الكريم ، قال الله عز وجل : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ [١] [٢] .

ما ورد عن الإيجاز والإطناب في فقه اللغة وسر العربية :

١ - الإيجاز [٣] :

---

(١) سورة الأنبياء : ٣٠ ، قال الطبري : فإن قال قائل وكيف قيل : إن السماوات والأرض كانتا ، فالسماوات جمع وحكم جمع الإناث أن يقال في قليله تحن ، وفي كثيره كانت ؟ ، قيل : إنما قيل ذلك كذلك لأنهما صنفان ، فالسماوات نوع والأرض نوع آخر ، وذلك نظير قول الأسود :

إن المنايا والحتوف كليهما ∴ في كل يوم ترقبان سوادي

فقال كليهما ، وقد ذكر المنية والحتوف لما وصف من أنه عني النوعين . الطبري ١٧ / ٢٠ ، وأبو السعود ٦ / ٦٥ .

(٢) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٤٤ .

(٣) أفاض الإمام عبد القاهر في إشادته عن الحذف حيث قال : " هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن ، فانظر إلى ما تجده من اللطف والظرف إذا أنت مررت بموضع الحذف ، لما وقع فيه ذلك ، ثم قويت النفس عنا تجد ، والطفت النظر فيما تحس به ، ثم تكشف لك ترى ما حذف الساحر ، وأن قدرته إلى لفظك ، وتوقعه في سمعك ، فإنك تعلم أن الذي قلت كما قلت ، وأن رب حذف هو قلادة الجيد ، وقاعدة التجويد ، فما من اسم أو فعل تجده قد حذف ، ثم أصيب به موضعه وحذف في احتمال يبغي أن يحذف فيها ، إلا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره ، وتراه إضماره في النفس أولى وأنسى من النطق به . انظر : دلائل الإعجاز ص ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ .

عرض التعالبي للإيجاز من خلال تلك الشواهد والأمثلة التي ساقها في ذلك المضمار فيقول تحت عنوان " الحذف والزيادة " فصل في حفظ التوازن ، العرب تزيد وتحذف حفظا للتوازن وإيثارا له ، ثم ذكر شاهدين للزيادة ، وقال بعدهما : وأما الحذف فكما قال جل اسمه : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ [1] ، وقال : ﴿ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾ [2] .

---

* - كما بين الزركشي فوائد الحذف ومنها التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام للذهاب الذهن في كل مذهب ، وزيادة اللذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف ، وتحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل ، والتشجيع على الكلام ، ومن ثم نحاه ابن جني : " شجاعة العربية " . انظر : البرهان ٣ / ١٠٤ ، ١٠٥ ، والخصائص ٢ / ٣٦٢ .

- وقال ابن السبكي : الإيجاز المصطلح عليه هنا هو الاختصار وإن كان الإيجاز لغة هو تقليل اللفظ مطلقا ، ولا فرق عند السكاكي بين الإيجاز والاختصار كما صرح به الخطيب في شرح المفتاح وهو صريح لفظ المفتاح ، وأما قول بعضهم أن مراده أن الاختصار في حذف الجمل فقط بخلاف الإيجاز فليس بشيء . عروس الأفراح ٢ / ١٦٩ ، وانظر : المفتاح ص ١٣٥ .

- ويذكر السيد أن السكاكي قد أبدل لفظ الإيجاز بالاختصار لعدم في العبارة فقولا أن الإيجاز والاختصار متحدان لما عرف حال أحدهما من الآخر ، ولما صح قوله وسمي الإيجاز إذ ذاك خيرا . المصباح ٢ / ٤٦٤ ، وينظر : المسالك البلاغية في كتاب الصاحبي ص ٦٦ ، ٦٧ .

(١) سورة الفجر : ٤ ، و " يسر " على حذف الياء ، وقال الطبري : قرأ جماعة من القراء بإثبات الياء ، وحذف الياء في ذلك أعجب إلينا لموافق بين رؤوس الآي ، إذا كانت بالراء ، والعرب ربما أسقطت الياء في موضع الرفع مثل هذا ، اكتفاء بكسرة ما قبلها ، من ذلك قول الشاعر :

ليس الخلي بسارقي فيرى بوم ∴ ولقد يخاف شمالتي إعساري

انظر : الطبري ٣٠ / ١٧٣ ، وهناك آراء قالوا : " وجاز الحذف في الآية مراعاة للفسق ، ومحافظة على الانسجام ، والتدفق الموسيقي ، وذلك لأن الإيقاع الموسيقي شديد الحساسية ، تنبه أخفى الحركات والاهتزازات ، ولو بقي الحرف لأحسها بما يشبه الكسر في وزن الشعر - انظر : التصوير الفني في القرآن - للشهيد سيد قطب ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ - دار الشروق .

(٢) سورة الرعد : ٩ ، اختلفت القراءة في الوقف على " المتعال " فأثبت ابن كثير وأبو عمرو - في بعض ما روي عنه - الياء في الوصل والوقف ، ولم يثبتها الباقون في وصل ولا وقف . =

و ﴿ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾ [1] ، و ﴿ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ [2] [3] .

وكما قال لبيد :

إنَّ تقوى ربِّنا خيرُ نَفَل ∴ وبإذن الله ريثي وعجل

أي : وعجلي ، وكما قال الأعشى :

ومن شاتمٍ كاسفٍ وجهَهُ ∴ إذا ما التقتْ لَهُ أنكرن

أي : أنكرني [4] .

وفي موضع آخر من فقه اللغة وسر العربية يورد التعالبي مجموعة من الآيات الكريمة وبعضا من أشعار العرب وأقوالهم ، وقع فيها حذف للحرف ،

= والباقون هو الوجه والباب واستسهال سيبويه حذفها في الفواصل - كهذه الآية - ليلتقي على القوافي في الشعر ، ويشبه حذفها في غير فاصلة ولا شعر ، ولكن وجهه أنه لما كان التنوين يعاقب الألف ، واللام أبدا ، وكانت هذه الياء تحذف مع التنوين ، حسن أن تحذف مع معاقبه . النشر في القراءات العشر للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي - تصحيح : علي محمد الضباع ٢ / ٢٩٨ - دار الكتب العلمية بيروت ، وانظر : الكتاب ٤ / ١٨٤ ، ١٨٥ ، والمحرر الوجيز ٣ / ٢٩٨ ، وروح المعاني ١٣ / ١١٧ .

(١) سورة غافر : ٣٢ ، تعددت القراءة في " التناد " ومن ثم اختلف التوجيه فقد قرأ قرقة : " التناد " بسكون الدال في الوصل ، وهذا على إجرائهم الوصل مجرى الوقف في غير ما موضع ، وقرأ نافع وابن كثير : " التنادي " بالياء في الوصل والوقف وهذا على الأصل ، وقرأ الباقون : " التناد " بغير ياء فيهما ... وحذفت الياء مع الألف واللام جلا على حذفها مع معاقبها وهو التنوين ، وقال سيبويه : حذفت الياء تخفيفا ، وقرأ ابن عباس والضحاك وأبو صالح والكلبي : " التنادّ " بشد الدال ، وهذا معنى آخر ليس من النداء ، بل هو من ند البعير إذا هرب وهذا المعنى فسر ابن عباس والسدي هذه الآية . انظر الوجيز ٤ / ٥٥٨ ، وينظر كذلك : الطبري ٢٤ ، ٦١ ، ٦٢ ، وأبو السعود ٧ / ٢٧٥ ، وروح المعاني ٢٤ / ٦٧ .

(٢) سورة غافر : ١٥ ، ما قبل في " التناد " قيل في " التلاق " ينظر : انظر الوجيز ٤ / ٥٥١ ، والبرهان ١ / ٤٠٢ .

(٣) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

(٤) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٤٠ .

أو للكلمة ، أو لعدة كلمات ، وإن كان بعضها صالحا للمجاز [١] أيضا ، حيث يقول تحت " فصل محمل فى الحذف والاختصار " من سنن العرب أن تحذف الألف من " ما " إذا استفهمت بها ، فتقول : " بم ؟ " ، و " لم ؟ " ، و " مم ؟ " ، و " علام ؟ " ، و " فيم ؟ " ، قال تعالى : ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴾ [٢] ، وكما قال عز وجل : ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ، عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴾ [٣] اى : " عن ما " فأدغم النون فى الميم .

ومن الحذف للاختصار قول الله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [٤] ،

---

(١) حيث يقول صاحب البرهان : المشهور أن الحذف مجاز وحكى إمام الحرمين فى التلخيص عن بعضهم أن الحذف ليس بمجاز إذ هو استعمال اللفظ فى غير موضعه والحذف ليس كذلك ، قال ابن عطية فى تفسير سورة يوسف - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - وحذف المضاف هو عين الاعجاز وعظمه ، وهذا مذهب سيبويه وغيره من أهل النظر ، وليس كل حذف مجازا ، وقال الزمخشرى فى المجاز : إنما يكون مجازا إذا نقل بسببه حكم ، فإذا لم ينقل حكم ما بقى الكلام ، والتحقيق : أنه إن أريد بالمجاز استعمال اللفظ فى غير موضعه فالمحذوف ليس كذلك ، لعدم استعماله ، وإن أريد بالمجاز إسناد الفعل إلى غيره ، وهو المجاز العقلى فالحذف كذلك . انظر : البرهان ٣ / ١٠٣ ، ١٠٤ ، والمحرر الوجيز ٣ / ٢٧١ ، والمسائل البلاغية فى كتاب الصاحبى ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) سورة النازعات : ٤٣ .

(٣) سورة النبأ : ١ ، ٢ ، ويقول ابن عطية : " أصل عم : عن ما ، ثم لاصقت النون بعد قلبها فبقى " عما " فى الخبر والاستفهام ، ثم حذفوا الألف فى الاستفهام فرقا بينه وبين الخبر ، ثم من العرب من يخفف الميم تخفيفا فيقول " عمو " . انظر الوجيز ٥ / ٤٢٣ .

(٤) سورة طه : ٧ ، قال الطبرى : أى يعلم " السر وأخفى منه " . انظر : الطبرى ١٦ / ١٣٩ ، ١٤٠ ، وأبو السعود ٦ / ٥ ، وروح المعانى ١٦ / ١٦٢ ، وفى البرهان : " فإنه يعلم السر وأخفى " أى من السر ، وكلام الزمخشرى فى المفصل يقتضى أنه مما قطع فيه عن متعلقه قصدا لنفى الزيادة ، نحو : فلان يعطى ، ليكون كالفعل المتعدى ، إذ جعل قاصرا للمبالغة ، وعلى هذا لا يكون من الحذف ، فإنه قال : أفعل التفضيل له معنيان - أحدهما : أن يراد أنه زائد على المضاف إليه فى الجملة التى هو وهم فيها شركاء ، والثانى : أن يوجد مطلقا له الزيادة فيها إطلاقا ، ثم يضاف للتفضيل على المضاف إليه ، لكن بمجرد التخصيص كما يضاف ما لا تفضيل فيه ، نحو قولك : الناقص والأشج أعدلا بنى مروان ، كأنك قلت : عادلا بنى . انظر : البرهان ٣ / ١٥٤ .

أى : السر وأخفى منه فحذف ، وقوله : ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ ﴾ [١] ، أى : إمرة واحدة أو مرة واحدة [٢] .

ومن الحذف قوله : لم أبل ، ولم أبال ، وقولهم : لم اك ولم أكن ، وفى كتاب الله عز وجل : ﴿ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ [٣] ، ومن ذلك ما تقدم ذكره [٤] من قوله جل جلاله : ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ [٥] ، وقوله : ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ [٦] ، وقوله : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [٧] ، فحذف النفس ، والشمس ، والأرض إيجازا واقتصارا .

ومن ذلك حذف حرف النداء كقولهم : زيد تعال ، وعمرو اذهب ، أى : يا زيد ، ويا عمرو ، وفى القرآن : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾ [٨] .

---

(١) سورة القمر : ٥٠ .

(٢) فقه اللغة وسر العربية : ٢٤٦ .

(٣) سورة مريم : ٩ ، أى لن تكن موجودا ، وقيل حذفت النون تنبيها على صغر مبدأ الشئ وحقارته ، وأن منه ينشأ ويزيد إلى ما لا يحيط بعلمه غير الله . انظر : البرهان ٤ / ٤٠٧ .

(٤) يعنى بقوله " ما تقدم ذكره " ما أورده من شواهد فى " الكناية عما لم يجر ذكره من قبل " أى : وضع المضمر موضع الظهر ، ينظر ص من الكتاب .

(٥) سورة القيامة : ٢٦ .

(٦) سورة ص : ٣٢ .

(٧) سورة الرحمن : ٢٦ .

(٨) سورة يوسف : ٢٩ ، وللعلماء حول حذف أداة النداء فى الآية أقوال ، فالزجاج قال - بعدما أشار إلى المحذوف - معناه : يا يوسف احكم عن هذا الأمر ولا تذكره ، وفى هذا القول - كما يقول الدكتور أبو موسى - " رمز لطيف كأنه يهمس لهذا الخبر فى أذن يوسف محاذرا أن يسمعه أحد ، ثم فيه تقريب وملاطفة ليوسف - عليه السلام - وإيماء خفى بأن الخبر كله يجب أن يضمر فى السرائر ، وألا يجرى به لسانه ، وأورد الزمخشرى أن حذف حرف النداء ، إنما كان لأن المنادى قريب مقاطن للمحدث ، وفيه تقريب له وتلطيف لمحله ، أما السيوطى فقد جعل الحذف للتخفيف لكثرة دورانه فى الكلام . انظر : معانى القرآن =

أبي يا بوسلمة [1]

ومن ذلك حذف أواخر الأسماء المنقوصة المعرفة في النداء دون تنوين كقولهم : يا حار ، ويا مال ، ويا صاح ، أي : يا حارث ، ويا مالسك ، ويا صاحبي ، ويقال هذا الحذف : الترخيم [2] ، وفي بعض القراءات الشاذة [3] ﴿ ونادوا يا مال ﴾ [4] [5]

ويقال امرؤ القيس : أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل [6]

ويقال عمرو بن العاص :

معاوي لا أعطيك شيئاً تريده ... ما دمت حياً فاقطرن كيف تصنع [7] .

---

[1] ينظر : شرح الكافية الشافية لابن مالك ص ١١٥ ، وشرح التسهيل لابن مالك ٢ / ٢٤٦ ، وينظر : الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن السيد البطليوسي - تحقيق : مصطفى السقا ، وحامد عبد المجيد - الطبعة الأولى - مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٩٦م ، ص ٢٢٢ .

[2] ينظر : شرح التسهيل لابن مالك ٢ / ٢٤٦ .

[3] ينظر : [illegible]

[4] [illegible]

[5] [illegible]

[6] [illegible]

[7] [illegible]

ومن الأمثلة عند العلماء أن لغة النقل وبعض العرب حذف المنادى المضاف يقول : " ومن ذلك قولهم : يالله ، أي : المعنى يالله أدعوك ، فحذف المضاف به ، والاستغناء عن ذكره ، وقولهم : ياسم الله ، أي : المعنى يا مسمى الله .

ومن ذلك حذف الألف من كلمة الاستعمال ، ومن المعلوم أنه يجب ذكره [1] في خط الموازين ، كقولك لو ذكرت : ﴿ والقمر إذا يتسر ﴾ [2] ، و ﴿ الكبير المتعال ﴾ [3] ، و ﴿ يوم التلاق ﴾ [4]

كما عرض العلماء لحذف حذف المنادى [5] ، وحذف نون المثنى عند الإضافة [6] ، وحذف نون الجمع عند الإضافة [7] ، كما عرض حسان رضي الله عنه حيث قال : ومن الحذف قولهم : " ولا أبا لك " ، وقولهم : ولا أبا لغير الله [8]

---

[1] ينظر : [illegible]

[2] سورة القمر : ٣٢ .

[3] سورة الرعد : ٩ .

[4] سورة غافر : ١٥ .

[5] ينظر : [illegible]

[6] [illegible]

[7] [illegible]

[8] [illegible]

ومن الحذف عنده بالإضمار ما أورده قائلا : ومن الحذف قوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ﴾ [1] ، فنصب خيرا بالإضمار ، أى : لتكن الانتهاء خيرا لكم ، فنصب خيرا ، وحذف واختصر [2]

ومن الحذف قوله عز ذكره : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ [3] ، وتقديره : ولنعلمه فعلنا ذلك ، وكذلك قوله : ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾ [4] ، أى : وحفظا فعلنا ذلك .

وعن حذف المضاف أورد التعالبى قوله : " ومن الحذف قولهم : صليت الظهر ، أى : صلاة الظهر ، وكذلك سائر الصلوات الأربع [5] .

---

(١) سورة النساء : ١٧١ ، وللعلماء فى تقدير المحذوف أقوال ، حيث يقول الزركشى : فى الآية حذف للفعل حيث دل عليه معنى الفعل الظاهر ، والتقدير : أى وائتوا أمرا خيرا لكم ، فقدره سيبويه أن " خيرا " انتصب بإضمار " ائت " لأنه لما نهاه علم أنه يأمره بما هو خير ، فكأنه قال " وائتوا خيرا " ، لأن النهى عن الشئ أمر بضده ، ولأن النهى تكليف ، وتكليف المعدم محال ، لأنه ليس مأمورا ، قلت أن متعلق التكليف أمر وجودى يناقل المنهى عنه وهو الضد ، وحمله الكسائى على إضمار " كان " أن يكن الانتهاء خيرا لكم ، ويجمعه إضمار كان ، أنها لا تضمر فى كل موضع ، ومن جهة المعنى إذ من ترك ما نهى عنه فقد سقط عنه اللوم ، وعلم أن ترك المنهى عنه خير من فعله ، فلا فائدة فى قوله " خيرا " ، واختار الفراء على أنه صفة لمصدر محذوف ، أى : انتهوا انتهاء خيرا لكم ، وقال : إن هذا الحذف لم يأت إلا فيما كان الفعل ، خير لك ، والفعل ، ورد عليه وعلى الكسائى بقوله : ﴿ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ﴾ النساء : ١٧١ ، لو حمل على ما قالا لا يكون خيرا ، وكان موصلا لا يكون خيرا له ، وقول سيبويه ، وائت خيرا يكون أمرا بالتوحيد الذى هو خير ، فاللفظ دليل وسيبويه ، ما أطلعهما على المعانى . انظر : البرهان ٣ / ٢٠٣ .

(٢) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٤٧ .

(٣) سورة يوسف : ٢١ .

(٤) سورة الصافات : ٧ .

(٥) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٤٨ .

ومن الإيجاز بالحذف فى فقه اللغة وسر العربية ما ذكره فى باب الإضمار حيث يقول تحت " فصل مجمل فى الإضمار يناسب ما تقدم من الحذف : من سنن العرب الإضمار إيثارا للتخفيف وثقة بفهم المخاطب ، فمن ذلك إضمار " أن " وحذفها من مكانها ، كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [1] ، أى : أن يريكم البرق ، وقال طرفة [2] :

ألا أيها اللائمي أحضرَ الوغى ∴ وأن أشهدَ اللذات هل أنت مُخلدي ؟

فأضمر " أن " أولا ، ثم أظهرها ثانيا فى بيت واحد ، وتقديره : ألا أيها الزاجرى أن أحضر الوغى ، وفى ذلك يقول بعض أدباء الشعراء :

تفكرت فى النحو حتى مللت ∴ وأتعبت نفسى له والبدن

فكنت بظاهره عالما ∴ وكنت بباطنه ذا فطن

خلا أن بابا عليه العفا ∴ فى النحو يا ليته لم يكن

إذا قلت : لم قيل لى هكذا ∴ على النصب ؟ قيل : بإضمار أن

---

(١) سورة الروم : ٢٤ ، وعن إضمار المحذوف أو حذفها يقول الزركشى : قال أبو الفتح فى " المنصف " : أخبرنا أبو على قال : قال أبو بكر بن السراج : حذف المحذوف ليس بلازم ، وذلك أن المحذوف نائب عن الفعل بقاعله ، ألا تراك إذا قلت : ما قام زيد ، فقد نفيت " ما " عن " قام " كما نابت " إلا " عن " استثنى " وكما نابت الفيرة وعن عن " استغنيت " ، وكما نابت حروف العطف عن " أعطف " ، ونحو ذلك ، فلو ذهبت تحذف المحذوف ، لكان ذلك إجحافا ، واختصارا للمختصر إجحاف به ، إلا إذا صح الوجه إليه ، وقد جاء فى بعض الأحوال حذفه لقوة الدلالة عليه ، كحذف " إن " كما ورد فى ذلك الآية . ينظر : البرهان ٣ / ٢٠٩ ، ٢١٤ .

(٢) فى ديوانه ص ٣٢ .

ومن ذلك إضمار " مِنْ " كما قال تعالى : ﴿ وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [١] ، أى : إلا من له ، ومن ذلك إضمار " مِنْ " كما قال تعالى : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا ﴾ [٢] ، أى من قومه [٣] .

ومن ذلك إضمار " إلى " كما قال جل جلاله : ﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى ﴾ [٤] ، أى : إلى سيرتها الأولى ، ويعود التعالبى مرة أخرى لإضمار الفعل فيذكر له شواهد أخرى فيقول : ومن ذلك إضمار الفعل كما قال الله عز وجل : ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى ﴾ [٥] ، وتقديره : فضرب فحيى ، كذلك يحى الله الموتى ، ومثله : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً ﴾ [٦] ، وتقديره : فضرب فانفجرت ، ومثله : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ [٧] ، وتقديره : فحلق ، ففدية .

---

(١) سورة الصافات : ١٦٤ .

(٢) سورة الأعراف : ١٥٥ ، وتقدير الكلام : واختار موسى من قومه ، فلما الحذف الحاقص تعدى الفعل فنصبا ، وهذا كثير فى كلام العرب . انظر : الطبرى ٩ / ٧٤ ، وأبو السعود ٣ / ٢٧٦ ، وروح المعانى ٦ / ٩٨ .

(٣) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

(٤) سورة طه : ٢١ .

(٥) سورة البقرة : ٧٣ ، وهى عند السكاكى لما دخل عليه الفاء الفصيحة حيث يقول : أليس بقيد لمقدره فحيى فقلنا ..... ويقول السيد الفصيحة هنا مقدرة بحاجة إلى تأمل يظهر به موقعها ، ولأن الحذوف فيها أكثر من جملة واحدة يدل عليه سياق الكلام ، فالفاء فى فقلنا اشعر الذهن على " كذلك " فإن فصيحة تنبئ تقدير فضربوه إلخ ، والإيجاز مع الفاء الفصيحة إيجاز حذف دائما . المصباح للسيد الشريف - تحقيق د / فريد الكلاوى ٢ / ٤٦٣ - ط ١٩٧٧ م ، وانظر : المسائل البلاغية فى كتاب الصاحبى ص ٧٢ .

(٦) سورة البقرة : ٦٠ .

(٧) سورة البقرة : ١٩٦ ، والمعنى : فحلق لإزالة الأذى " ففدية " وهذا هو فحوى الخطاب عند أكثر الأصوليين . انظر : أبو السعود ١ / ٢٠٩ ، والبيضاوى ١ / ٤٨٠ ، ٤٨١ .

كما أشار التعالبى إلى حذف القول [١] فقال : " ومن ذلك إضمار القول ، كما قال سبحانه : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم ﴾ [٢] أى فيقال لهم : أكفرتم ، لأن " أما " لابد لها فى الخبر من فاء ، فلما اضمر القول اضمر " الفاء " ، ومثله :

﴿ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ ﴾ [٣] ، أى : يقولون : هذا يومكم ، وقال الشنفرى :

وَلا تَدْفِنُونِي إِنَّ دَفْنِي مُحَرَّمٌ ∴ عَلَيْكُم وَلَكِن خَامِرِي أُمَّ عَامِرِ [٤]

ومن شواهد الإيجاز وأمثلته فى فقه اللغة وسر العربية ما ذكره تحت قوله " فصل فى إلغاء خبر " لو " اكتفاء " [٥] بما يدل عليه الكلام وتقدم بهم المخاطب ، فيقول : ذلك من سنن العرب كقول الشاعر :

---

(١) وحذف القول كثير فى القرآن الكريم حتى أنه فى الإضمار بمنزلة الإظهار كما يرى الزركشى بل " حين يحذف القول حالا ، أو فعلا ، فلذلك لغرض تصويرى ، بمعنى أن النص يقدم الحدث أو الحركة متداخلا مع القول ، كما يحدث تماما فى واقع الحياة حين يتزمن الإسناد عملا وإسناد لا يتوقف " . انظر : البرهان ٣ / ١٩٦ ، وانظر : من الإعجاز البلاغى للقرآن - د / صباح عبيد دراز ص ٢١٠ - ط أولى ١٩٨٠ م .

(٢) سورة آل عمران : ١٠٦ ، ويقول ابن عطية : " وقوله تعالى " أكفرتم " تقرير وتوبيخ معلق بمحذوف تقديره : فيقال لهم : أكفرتم ؟ وفى هذا الحذوف جواب " أما " . وهذا هو فحوى الخطاب ، وهو أن يكون فى الكلام شئ مقدر لا يستغنى المعنى عنه . المحرر الوجيز ١ / ٤٨٧ .

(٣) سورة الأنبياء : ١٠٣ ، وقد رد الطبرى قائلاً : وتستقبلهم الملائكة يهنئونهم بقولهم هذا يومكم . انظر : الطبرى ١٧ / ٩٩ ، وأبو السعود ٦ / ٨٧ ، وروح المعانى ١٧ / ٩٨ .

(٤) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٤٩ .

(٥) الاكتفاء نوع من أنواع الحذف ، ذكروا أنه أن يقتضى المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط ، فيكتفى بأحدهما عن الآخر ويختص بالارتباط العاطفى غالبا . البرهان ٣ / ٦٦٨ ، ومعترك الأقران ١ / ٢٤٢ .

فاضمر " أن " أولا ، ثم أظهرها ثانيا فى بيت واحد ، وتقديره : ألا أيها الزاجرى أن أحضر الوغى ، وفى ذلك يقول بعض أدباء الشعراء :

تفكرت فى النحو حتى مللت ∴ وأتعبت نفسى له والبدن

فكنت بظاهره عالما ∴ وكنت بباطنه ذا فطن

علا أن بابا عليه العفا ∴ فى النحو يا ليته لم يكن

إذا قلت : لم قيل لى هكذا ∴ على النصب ؟ قيل : باضمار أن

ومن ذلك إضمار " مَنْ " كما قال تعالى : ﴿ وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [1] ، أى : إلا من له ، ومن ذلك إضمار " مِنْ " كما قال تعالى : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا ﴾ [2] ، أى من قومه [3] .

ومن ذلك إضمار " إلى " كما قال جل جلاله : ﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى ﴾ [4] ، أى : إلى سيرتها الأولى ، ويعود التعالبى مرة أخرى لإضمار الفعل فيذكر له شواهد أخرى فيقول : ومن ذلك إضمار الفعل كما قال الله عز وجل : ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى ﴾ [5] ، وتقديره :

---

(١) سورة الصافات : ١٦٤ .

(٢) سورة الأعراف : ١٥٥ ، وتقدير الكلام : واختار موسى من قومه ، فلما اتحذف الحافض تعدى الفعل فنصب ، وهذا كثير فى كلام العرب .انظر : الطبرى ٩ / ٧٤ ، وأبو السعود ٣ / ٢٧٦ ، وروح المعانى ٩ / ٩٨ .

(٣) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

(٤) سورة طه : ٢١ .

(٥) سورة البقرة : ٧٣ ، وهى عند السكاكى مما دخل عليه الفاء الفصيحة حيث يقول : أليس يفيد فضربوه فحيى فقلنا ..... ويقول السيد : الفصيحة هنا مقدرة محتاجة إلى تأمل يظهر به موقعها ، ولأن المحذوف ههنا أكثر من جملة واحدة يدل عليه سياق الكلام ، فالفاء فى فقلنا للقدر الداخل على " كذلك " فاء فصيحة تقتضى تقدير فضربوه إلخ ، والإيجاز مع الفاء

وبعد هذه الجولة فى الإيجاز عند التعالبى فى كتابه فقه اللغة وسر العربية أمكن القول أنه لم يعرض سوى لنوع واحد من الإيجاز ألا وهو إيجاز الحذف ، أما إيجاز القصر [1] فلم يكن فى كتابه منه نصيب ، وبعد هذا تقصرا منه ، إذ عرض كثير من العلماء قبله لهذا النوع من الإيجاز وقد تصدق التعالبى إشارة منه يفهم منها تلميحه إلى هذا النوع من الإيجاز - أعنى إيجاز القصر - إذ عرض فصلا فى تفصيل أسماء الوساند وتقسيمها من قبيل المصدغة وهى كذا ، والمعدة للرأس ، والمنبذة ، النمرقة ، المسند ، الحسبانة ، والوسادة : تجمعها كلها ، ففى قوله : الوسادة تجمعها كلها ما يفيد إيجاز القصر عنده ، وإن لم ينص أو يشر إلى ذلك [2] .

٢ - الإطناب [3] :

أورد التعالبى عدة صور من الإطناب :

أ - الحشو [4] :

---

(١) وإيجاز القصر يكون بكثرة المعانى مع قصر الألفاظ من غير حذف فيها ، وهذا يأتى من أن اللفظ لا يقتصر على دلالة واحدة ، بل تتنوع دلالته إلى دلالة مطابقة ودلالة تضمن ، ودلالة التزام ، ودلالة على مستحسنات التراكيب من المعانى الثانوية . انظر : البلاغة العالية - علم المعانى - للشيخ / عبد المتعال الصعيدى ص ١٢٢ - تقديم د / عبد القادر حسين - الطبعة النموذجية - ط ثانية ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .

(٢) كالرمانى مثلا المتوفى سنة ٣٨٦ هـ . انظر : فقه اللغة وسر العربية ص ١٧٨ .

(٣) الإطناب هو تأدية أصل المراد بلفظ زائد عليه لفائدة ، وهو - أى الإطناب - ملحظ نفسى دقيق المسلك حيث يتركز الضوء على موضع ما فى العبارة ، فيأتى ك صورة من صور الإطناب المختلفة ، فكأن المتكلم - بمراعاته ذلك - يضع اليد على إحسانه وفعاله ، وعلى هذا كان الإطناب فى الكلام . انظر : ابن يعقوب المغربى ٣ / ١٧٠ (بتصرف) .

(٤) الحشو : هو أن يراد فى الكلام زيادة بلا فائدة على شريطة أن تكون تلك الزيادة متعينة ، والحشو ضربان :

الأول : حشو مفسد للمعنى ، ومثل له بقول الشاعر :

﴿ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ ﴾ [1] ، أى : يقولون : هذا يومكم ، وقال الشنفرى :

وَلَا تَدْفِنُونِي إِنَّ دَفْنِي مُحَرَّمٌ ∴ عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ خَامِرِي أُمَّ عَامِرِ [2]

ومن شواهد الإيجاز وأمثلته فى فقه اللغة وسر العربية ما ذكره تحت قوله " فصل فى إلغاء خبر " لو " اكتفاء [3] بما يدل عليه الكلام وثقة بفهم المخاطب ، فيقول : ذلك من سنن العرب كقول الشاعر :

وَجَدِّكَ لَو شَيْءٌ أَتَانَا رَسُولُهُ ∴ سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعَا

والمعنى : لو أتانا رسول سواك لدفعناه .

وفى القرآن حكاية عن لوط قال : ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [4] ، وفى ضمنه لكنت أكف أذاكم عنى ! ومثله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ

---

(١) سورة الأنبياء : ١٠٣ ، وقد رد الطبرى قائلاً : وتستقبلهم الملائكة يهنئونهم يقولون هذا يومكم ، انظر : الطبرى ١٧ / ٩٩ ، وأبو السعود ٦ / ٨٧ ، وروح المعانى ١٧ / ٩٨ .

(٢) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٤٩ .

(٣) الاكتفاء نوع من أنواع الحذف ، ذكروا أنه أن يقتضى المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط ، فيكتفى بأحدهما عن الآخر ويخص بالارتباط العاطفى غالبا . البرهان ٣ / ١١٨ ، ومعترك الأقران ١ / ٢٤٢ .

(٤) سورة هود : ٨٠ ، يقول ابن عطية : " وجواب " لو " محذوف ، وحذف مثل هذا أبلغ ، لأنه يدع السامع ينحى إلى أبعد غايات ، وللمعنى : لفعلت كذا وكذا . المحرر الوجيز ٣ / ١٩٥ ، والكشاف ٢ / ٢٢٧ .

والنصيب والحظ بمعنى واحد [1] [2] .

- وأما الضرب الأوسط ؛ فكقول امرئ القيس [3] :

ألا هل أتاها - والحوادث جمة - ∴ بأن امرأ القيس بن تملك بيقرا

فقوله " والحوادث جمة " حشو مستغنى عنه ، ولكن لا بأس به فى موضعه ، وكقول النابغة [4] :

---

(١) وإذا كان الثعالبى قد رأى أن النصيب والحظ بمعنى واحد إلا أنه قد كان لأبى هلال العسكرى رأى آخر ، حيث قال : الفرق بين النصيب والحظ يكون فى الخير والمكروه ، يقال : وقاه الله نصيبه من النعيم أو من العذاب ، ولا يقال حظه من العذاب إلا على استعارة بعيدة ، لأن أصل الحظ : هو ما يحظه الله - تعالى - للعبد من الخير ، والنصيب ما نصب له ليناله ، سواء كان محبوبا أو مكروها ، ويجوز أن يقال : الحظ اسم لما يرتفع به المحظوظ ، ولهذا يذكر على جهة المدح ، فيقال : لفلان حظ وهو محظوظ ، والنصيب : ما يصيب الإنسان من مقاسمة سواء ارتفع به شأنه أم لا ، ولهذا يقال : لفلان حظ فى التجارة ، ولا يقال له نصيب فيها ، لأن الربح الذى يناله فيها ليس من مقاسمة . الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى - تحقيق / حسام الدين القدسى ص ١٣٥ ، ١٣٦ - مكتبة القدسى ١٤١٥ هـ/١٩٩٤ م .

(٢) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٩٩ .

(٣) البيت فى ديوانه ص ٣٩٢ ، والحق فإن هذا البيت - وإن كان الثعالبى قد وضعه تحت الحشو - من الاعتراض وهو نوع من ألوان الإطناب ، عرفه الخطيب القزوينى : بأن يؤتى فى أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة سوى دفع الإيهام ، ويكون لأغراض عدة كالتعظيم والتنبيه ... إلخ . ينظر : الإيضاح ص ١١٦ ، ١١٧ ، والتأمل فى هذا البيت نجده من الاعتراض ، حيث وردت جملة " والحوادث جمة " معترضة بين الفعل الماضى " أتاها " ومفعوله " بأن امرأ القيس ... إلخ البيت " والغرض منه التفخر والتعظيم ، وتجدر الإشارة إلى أن الشطر الأول من هذا البيت ورد فى المطول حيث قال سعد الدين التفتازانى أن الواو قد تكون اعتراضية لا محل لها من الإعراب نحو " ألا هل أتاها والحوادث جمة " ... يقول : " ولو جعلت الواو عاطفة جملة " والحوادث جمة " على الجملة قبلها لم يكن لها معنى " . انظر : المطول - شرح تلخيص المفتاح للعلامة سعد الدين التفتازانى - تحقيق / عبد الحميد هنداوى ص ٥٠٠ بتصرف - دار الكتب العلمية بيروت لبنان - ط أولى ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م .

(٤) البيت فى ديوانه ص ٣٤ ، وهذا البيت - أيضا - ليس حشوا كما ذهب إلى ذلك الثعالبى - إن هو اعتراض كسابقه والغرض منه التأكيد حيث وقعت جملة الاعتراض " وما عمرى على هينا " بين لفظ القسم " لعمرى " والمقسم عليه " ولقد نطقت ... " إلخ البيت ، وقد صرح الثعالبى بالغرض من وراء البيت حيث قال : " فيه من تفخيم اللفظ وتأكيد المراد " وقد أصاب فى ذلك تماما لم يصب فى جعله حشوا .

لَعمري – وَما عُمري عَلَيَّ بِهَيِّنٍ – ∴ لَقَد لَطَّفَت بُطلاً عَلَيَّ الأقارِعُ

فقوله " وما عمرى على هين " حشو يتم الكلام بدونه ولكنه محمود لما فيه من تفخيم اللفظ وتأكيد المراد .

– وأما الضرب الثالث فهو الحشو الحسن اللطيف ، كقول عوف ابن محلم [1] :

إنَّ الثمانينَ – وبُلِّغتها – ∴ قَد أحوجَتْ سمعي إلى تَرجمانْ

فقوله " وبلغتها " حشو مستغنى عنه فى نظم الكلام ، ولكنه حسن فى مكانه وأوقع فى المعنى المقصود ، وكان ابن عباد يسمى هذا الحشو : حشو اللوزينج ، لأن حشو اللوزينج خير من خبزه .

ومن هذا الضرب قول طرفة [2] :

فَسُقى ديارَكِ غيرَ مُفسِدِها – ∴ صوبُ الربيعِ ودِيمةٌ تَهمي

فقوله " غير مفسدها " حشو ولكن ما أحسنه غاية [3] .

---

(١) البيت فى كتب البلاغيين شاهد على الاعتراض ، حيث جاء قوله " وبلغتها " معترضا بين اسم إن وخبرها ، والواو فيه اعتراضية ليست بعاطفة ولا حالية كما ذكره بعض النحاة . انظر : المطول ص ٥٠٠ ، والإيضاح ص ١١٧ ، والغرض من وراء الاعتراض فى البيت الدعاء ، حيث جاءت جملة " وبلغتها " معترضة لاستمالة الممدوح واستجلاب عطفه .

(٢) البيت فى ديوانه ص ٨٨ ، وليس كما ذكر التعالبى من أنه من الحشو ، بل هو من التكميل أو الاحتراس ، وقد عرفه الخطيب بقوله " وهو أن يؤتى فى كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه ، وهو ضربان : ضرب يقع فى آخر الكلام كقوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ سورة المائدة ٤ ، فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين لتوهم أن ذلتهم لضعفهم ، فلما قيل " أعزة على الكافرين " علم أنها منهم لتواضع لهم ..... ، وضرب يتوسط الكلام ، مثل هذا البيت الذى نحن . انظر : الإيضاح ص ١١٥ ، وطرفة لما دعا لديار محبوبته بالسقيا ، وكان دوام المطر ، مما يسبب الخراب والدمار ، فيحتمل أن يكون دعاؤه عليها دفع هذا الوهم بقوله : غير مفسدها .

(٣) فقه اللغة وسر العربية ص ٣٠٠ .

ومن ذلك قول عدى بن زيد لأبيه زيد ، وعدى فى حبس النعمان [1] :

فَلَو كُنتَ الأسيرَ – وَلا تكُنهُ – ∴ لَوَرَّثَهُم بِشَرشَحفِ النَواحِ

فقوله " ولا تكنه " حشو لا يخفى حسنه وبراعته ، ومن ذلك قول البحترى [2] :

إنَّ الغَمامَ – أخاكَ – جادَ بِمِثلِ ما ∴ جادَت يَداكَ لَوَ انَّهُ لَم يَخطُرِ

فقوله " أخاك " حشو ، ولكن ما أحسنه غاية ، ومن ذلك قول ابن المعتز [3] :

---

(١) فى البيت اعتراض بجملة " ولا تكنه " وليس حشوا ، كما زعم التعالبى ، وغرضه المطابقة والمدح أو المطابقة والاستعطاف ، فقوله " ولا تكنه " بالسلب اعتراض للمطابقة مع قوله " كنت " فى أول البيت بالإيجاب ، أما المدح ، فلعله يدعو لأبيه بألا يقع فى الأسر مثله ، وبحصل المطابقة والاستعطاف ، إذ يستعطف أباه ليفك أسره لدى النعمان ، وجدير بالذكر أن من أغراض الاعتراض التى ذكرها البلاغيون المطابقة والاستعطاف . ينظر : الإيضاح ص ١١٧ ، والمطول ص ٥٠١ .

(٢) فى البيت اعتراض بقوله " أخاك " عن حيث اعترض به بين اسم إن " السحاب " وخبرها " جادت يداك ..... " إلخ البيت ، والغرض المدح والتعظيم للمخاطب فى أنه كريم الخلق وذكره ، إذ جعله للسحاب أخا ، وفى البيت – أيضا – تشبيه حيث شبه جود السحاب – وهو المشبه – بجود المخاطب – الممدوح – وواضح أنه تشبيه مقلوب ، فالأصل أن يشبه جود الممدوح بالمطر وليس العكس ، وهذا مما يزيد فى إبراز جود وكرم الممدوح ، ويضفى عليه من البلاغة ما يضفى الحياة ، ولا يخفى ما فى البيت من طباق بين الاسم " يمنى " والفعل " يبا " فى أكسب البيت رواء ورونقا ، وفى البيت – أيضا – لون إطنابى آخر ، وهو التطويل ، وذلك عرفه الخطيب بقوله : وهو ألا يتعين الزائد فى الكلام كقوله – وألقى قولها كذبا ومينا – المترادفين " كذبا ومينا " وهما بمعنى واحد ، وليست إحداهما معينة وهى الكذب والبين ، حيث لا يتعين المعنى بإسقاط أيهما ، كما أنه لا فائدة فى الجمع بينهما . ينظر : الإيضاح ص ١٠٢ ، ١٠٣ ، وفى البيت الذى نحن بصدد ابن المعتز قد جمع بين هذين المترادفين " صنيعى وعطفى " وهما بمعنى واحد ، وليست إحداهما معينة ، وقد لا يتعين المعنى بإسقاط أيهما ، ولعله لا فائدة فى الجمع بينهما ، وقد ذم الزمان إذ قال : التطويل هو إكثار فى غير =

إن يجي - لا زال يحيا - صديقي ∴ وخليلي من دون هذى الأنام

فقوله " لا زال يحيا " حشو يرى على حشو اللوزينج ، ومن ذلك قول أبي الطيب المتنبي [1] :

وتحتقرُ الدنيا احتقارَ مُجَرِّبٍ ∴ يَرى كُلَّ ما فيها - وَحاشاه - فانيا

فقوله " وحاشاه " حشو يجمع الحسن والطيب ، ومن ذلك قول ابن عباد [2] :

قُل لأبي القاسم إن جئتَهُ ∴ هُنِّيت ما أُعطيتَ هُنِّيتَهُ

كُلُّ جمالٍ فائقٍ رائقٍ ∴ أنتَ - برغم البدرِ - أوتيتَهُ

فقوله " برغم البدر " حشو يقطر منه الظرف ، ومن ذلك قول أبي محمد الخازن الأصفهاني - رحمه الله - للصاحب [3] :

فأية طربة للعفو إن الكر ∴ م - وأنت معناه - طروب

فقوله " وأنت معناه " حشو يعجز الوصف عن حسنه وحلاوته .

= فائدة ، وتكلف جهد يكفي منه القليل . النكت في إعجاز القرآن للرماني - تحقيق د / محمد خلف الله ، و د / محمد زغلول سلام ص ٧٨ وما بعدها - ط دار المعارف بمصر - ط ثانية ١٣٨٧ هـ / ١٩٨٦ م ، وانظر : كتاب الصناعتين ص ١٩٧ .

(١) البيت في فقه اللغة مروي بطريق الغيبة ، أما في الإيضاح فمروي بطريق الخطاب ، وعلى كل ففي البيت اعتراض في قوله " وحاشاه " والغرض منه الدعاء ، فهو دعاء حسن في موضعه . انظر : الإيضاح ص ١١٦ ، ١١٧ .

(٢) في البيت الثاني اعتراض في قوله " برغم البدر " والغرض منه المدح والثناء ، ولا يخفى أن في جملة الاعتراض نفسها استعارة بالكناية جعلت من البدر شخصا يكون هناك شيء ما يرغمه ! .

(٣) في البيت اعتراض في قوله " وأنت معناه " لغرض التفخيم والتعظيم ، وقد أصاب التعالبي إذ قال عنه " يعجز الوصف عن حسنه وحلاوته " ، بينما لم يصب إذ جعله حشوا .

فقوله " وما عمري على قِيَن " حشو يتم الكلام بدونه ولكنه محمود لما فيه من تفخيم اللفظ وتأكيد المراد .

- وأما الضرب الثالث فهو الحشو الحسن اللطيف ، كقول عوف ابن محلم [1] :

إنَّ الثمانينَ - وبُلِّغتها - ∴ قد أحوجتْ سمعي إلى ترجمانْ

فقوله " وبلغتها " حشو مستغنى عنه في نظم الكلام ، ولكنه حسن في مكانه وأوقع في المعنى المقصود ، وكان ابن عباد يسمي هذا الحشو : حشو اللوزينج ؛ لأن حشو اللوزينج خير من خبزته .

ومن هذا الضرب قول طرفة [2] :

فَسَقى ديارَكِ غيرَ - مُفْسِدِها - ∴ صوبُ الربيعِ ودِيمةٌ تَهمي

فقوله " غير مفسدها " حشو ولكن ما أحسنه لغاية [3] .

ومن ذلك قول عدي بن زيد لأبيه زيد ، وعدي في حبس النعمان [1] :

---

(١) البيت في كتب البلاغيين شاهد على الاعتراض ، حيث جاء قوله " وبلغتها " معترضا بين اسم إن وخبرها ، والواو فيه اعتراضية ليست بعاطفة ولا حالية كما ذكره بعض النحاة . انظر : المطول ص ٥٠٠ ، والإيضاح ص ١١٧ ، والغرض من وراء الاعتراض في البيت الدعاء ، حيث جاءت جملة " وبلغتها " معترضة لاستمالة الممدوح واستجلاب عطفه .

(٢) البيت في ديوانه ص ٨٨ ، وليس كما ذكر التعالبي من أنه من الحشو ، بل هو من التكميل أو الاحتراس ، وقد عرفه الخطيب بقوله " وهو أن يأتي في كلام يوهم خلاف المقصود لنكتة يدفعه ، وهو ضربان : ضرب يقع في آخر الكلام كقوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ سورة المائدة ٥٤ ، فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين لتوهم أن ذلهم لضعفهم ، فلما قيل " أعزة على الكافرين " علم أنها منهم تواضع لهم .... ، وضرب يتوسط الكلام ، مثل هذا البيت الذي معنا . انظر : الإيضاح ص ١١٥ ، وطرفة لما دعا لديار محبوبته بالسقيا ، وكان دوام المطر ، مما يسبب الخراب والدمار ، فيحتمل أن يكون دعاء عليها دفع هذا الوهم بقوله : غير مفسدها .

(٣) فقه اللغة وسر العربية ص ٣٠٠ .

حيث يقول في " فصل في التكرير والإعادة ، هي من سنن العرب في إظهار العناية بالأمر ، كما قال الشاعر :

مَهلاً بَني عَمِّنا مَهلاً مَوالينا ∴ لا تَنبشوا بَيننا ما كانَ مَدفونا

وكما قال الآخر : كم نعمة كانت لكم ∴ كم كم وكم

فكرر لفظ " كم " للعناية بتكثير العدد ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ [1] ، ولهذا جاء في كتاب الله التكرير ، كقوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [2] ، وقوله عز وجل :

﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [3] [4]

ج - ذكر الخاص بعد العام [5] :

---

(١) سورة القيامة : ٣٤ . أي أولى لك فأولى أي يتكرر ذلك عليه مرة بعد أخرى . انظر : البيضاوي ٥ / ٤٢٤ ، بينما قال الطبري هو وعيد على وعيد . انظر : الطبري ٢٩ / ٢٠٠ ، وأبو السعود ٩ / ٩٩ .

(٢) سورة الرحمن ، تباينت آراء العلماء في المراد من وراء التكرير في الآية فرأى قوم منهم ابن قتيبة وغيره إلى أن هذا التكرار إنما هو لما اختلفت النعم المذكورة كرر التوقيف مع كل واحدة منها ، ورأى آخرون منهم ابن عطية أن التكرير في الآية جاء تأكيدا أو تنبيها لنفوس وتقريعا لها ، وهذه طريقة من الفصاحة معروفة ، وهي من كتاب الله في مواضع . انظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٣٩ ، وانظر : المحرر الوجيز ٥ / ٢٢٦ ، وانظر : البرهان ٤ / ١٨ ، ١٩ .

(٣) سورة المرسلات ، وتكررت هذه الآية فيها عشر مرات ، وذكر الزركشي أن التكرار في هذه الآية إذا كان لتعدد المتعلق - كالآية السابقة - وعلل بقوله : لأنه سبحانه ذكر قصصا مختلفة وأتبع كل قصة بهذا القول ، فصار كأنه قال عقب كل قصة : ويل للمكذبين هذه القصة ، وكل قصة تخالف التي تليها ، فأنت الويل لمن كذب بها ، ولهذا أنه لما كان جزاء الخمسة بعشر أمثالها ، وجعل للكفار في مقابلة كل مثل من الثمرات ويل . انظر : البرهان ٤ / ١٩ .

(٤) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٨٣ .

(٥) المراد بذكر الخاص بعد العام أن يعطف الخاص على العام بالواو تنبيها على فضله ، حتى كأنه ليس من جنس العام ، تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات ، وذلك هي فائدته التي ذكرها العلماء ، بمعنى أنه لما امتاز عن سائر أفراد العام بما له من الأوصاف الشريفة ، كأن الرفيعة صار كأنه شيء آخر مغاير لأفراد العام ، بحيث لا يشمله ذلك العام ولا يعلم حكمه منه . انظر : البرهان ٢ / ٤٦٤ ، ومعترك الأقران ١ / ٣٧١ ، والإيضاح ٣ / ٢٠٠ ، وابن يعقوب المغربي ٣ / ٢١٧ .

كما ذكر التعالبي هذه الصورة لكنه لم يضعها تحت هذا المسمى بل أورد ما أورده تحت " فصل في الاختصاص بعد العموم فقال : العرب تفعل ذلك فتذكر الشيء على العموم ، ثم تخص منه الأفضل فالأفضل فتقول : جاء القوم والرئيس والقاضي .

وفي القرآن : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [2] ، وإنما أفرد الله الصلاة الوسطى من الصلوات ، وهي داخلة في جملتها ، وأفرد التمر والرمان من جملة الفاكهة - وهما منهما - للاختصاص ، والتفضيل ، كما أفرد جبريل وميكائيل من الملائكة فقال : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ [3] [4] .

---

(١) سورة البقرة : ٢٣٨ ، ذكر تعالى (الصلاة الوسطى) ثانية ، وقد دخلت قبل في عموم قوله (الصلوات) ، لأنه قصد تشريفها وإغراء المصلين بها . انظر : الطبري ١٠ / ١٩٨ ، وأبو السعود ١ / ٢٣٥ ، والمحرر الوجيز ١ / ٣٢٢ ، وانظر : البرهان ٢ / ٤٩٦ .

(٢) سورة الرحمن : ٦٨ ، يقول الزمخشري معللا عطف النخل على الرمان وعلى الفاكهة وهما منهما " ، فإن قلت : لم عطفت النخل على الرمان وعلى الفاكهة وهما منهما ؟ قلت : اختصاصا لهما وبيانا لفضلهما ، كأنهما لما لهما من المزية جنسان آخران ، وقال ابن عطية : تكررهما وهما من أفضل الفاكهة تشريفا لهما وإشادة بهما كما قال الله تعالى : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ سورة البقرة ٩٨ . انظر : الكشاف ٤ / ٥٤ ، ٥٥ ، والمحرر الوجيز ٥ / ٢٣٥ .

(٣) سورة البقرة : ٩٨ ، قال الزركشي حول هذه الآية : فإن عداوة الله راجعة إلى عداوة جزبه ، فيكون جبريل كالمذكور أربع مرات ، فإنه اندرج تحت عموم ملائكته ، وتحت عموم جزبه ، ثم خصوصه بالتعيين عليه ، ويجوز أن يكون شمول معاملة العداة ، فيكون الذكر لأن وذكرهما بعد الملائكة - مع كونهما من الجنس - دليل على قصد التنويه بشرفهما ، على أن التفصيل إن كان بسبب الإفراد فقد عدل للملائكة مثله بسبب الإضافة ، ولم يلحظ شرفهما على غيرهما . البرهان ٢ / ٤٦٦ ، ٤٦٧ .

(٤) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٢٩ .

د - ذكر العام بعد الخاص :

أورد التعالبى تلك الصورة تحت الصورة السابقة ولكن تحت قوله " فصل فى ضد ذلك " أى ضد ذكر الخاص بعد العام ، فيقول: قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [١] ، فخص السبع ، ثم أتى بالقرآن العام بعد ذكره إياها [٢]

هـ - الزيادة [٣] :

ومما ذكره التعالبى فى فقه اللغة وسر العربية من صور الإطناب الزيادة إذ يقول تحت " فصل مجمل فى الزوائد والصلات التى هى من سنن العرب :

١ - زيادة الباء :

ومنها الباء الزائدة ، كما تقول : أخذت بزمام الناقة ، وقال الشاعر الراعى [٤] :

---

(١) سورة الحجر : ٨٧ ، وفى هذه الآية يبدو جليا ذكر الله - عز وجل - القرآن العظيم وهو لفظ عام يدخل فى عمومه من ذكر قبله ، وهو السبع المثانى ، والغرض من هذا الذكر إفادة الشمول مع العناية بالخاص لذكره مرتين ، مرة وحده ومرة مندرجا تحت العام . انظر . البيضاوى ٣ / ٣٨١ .

(٢) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٢٩ .

(٣) هذه الصورة من صور الإطناب تحدث عنها العلماء قديما وحديثا ، فقد تحدث سيبويه عن الزيادة ، فذكر زيادة الحروف وأثرها فى الكلام ، وتعرض لشئ ، من ذلك الحروف التى تأتى زائدة فى الكلام ، مثل الكاف ، والباء ، ومن ، وما ، ولا ، وإن ، وغير ذلك ، مع الوضع فى الاعتبار بأن " الحكم بزيادة حرف يعنى جواز حذفه ، لكن حذفه أو عدمه يغير المعنى إن لم يقتضه ، ويذهب البلاغة ، ويكسف نور الإعجاز ، ولهذا لا يصح أن يقال : إن فى القرآن كلمة مقحمة ، أو ... أنها زائدة زيادة محضة ، فإن هذا ضرب من الخيال " . انظر . الكتاب ٤ / ٣٠٧ ، وأثر النحاة فى البحث البلاغى ص ٧٧ ، وفى البلاغة القرآنية - د / صباح عبيد دراز ص ٢٥٥ (من كتاب) ، والنظر . فى البلاغة القرآنية جهود وآراء - د / صلاح محمود شحاتة ص ٢٦٢ - مطبعة الأمانة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

(٤) هو الراعى النميرى فى ديوانه ص ١٢٢ .

هُنَّ الحَرائِرُ لا رَبّاتُ أَخْمِرَةٍ ∴ سودُ المَحاجِرِ لا يَقْرَأْنَ بالسُّوَرِ

أى : لا يقرأن السور

كما قال عنترة :

شَرِبَتْ بِماءِ الدَّحْرَضَيْنِ [١] فَأَصْبَحَتْ ∴ .....

أى : ماء الدحرضين .

وفى القرآن حكاية عن هارون : ﴿ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴾ [٢] وقال عز ذكره : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ [٣] ، فالباء زائدة ، والتقدير : ألم يعلم أن الله يرى ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ [٤] .

٢ - زيادة التاء :

يقول التعالبى ومنها التاء الزائدة ... تقول : لات حين كذا ، وفى القرآن : ﴿ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ [٥] ، أى : لا حين ، و" التاء " زائدة وصلة .

٣ - زيادة " لا " :

حيث يقول : ومنها زيادة " لا " كقوله عز وجل : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [٦] ، أى : أقسم ، وكقول رؤبة : فى بئر لا حور سرى وما

---

(١) الدحرضين : دحرض بالضم اسم ماء . انظر : القاموس المحيط للفيروز ابادى ٢ / ٤٨٦ - دار إحياء التراث العربى - بيروت لبنان - ط أولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م .

(٢) سورة طه : ٩٤ .

(٣) سورة العلق : ١٤ .

(٤) سورة النور : ٢٥ .

(٥) سورة ص : ٣ ، يقول ابن عطية " ولات " بمعنى : ليس ، واسمها مقدر عند سيبويه ، تقديره : ولات الحين حين مناص ، وهى " لا " لحقتها تاء كما تقول : ربت وثمت ، قال الزجاج : وهى كتاء جلست وقامت ... ولا تستعمل " لا " مع التاء إلا فى الحين والزمان والوقت ونحوه فمن ذلك قول الشاعر : لات ساعة ندم . المحرر الوجيز ٤ / ٤٩٢ .

(٦) سورة القيامة : ١ ، ويشير صاحب الظلال إلى الزيادة فى الآية من طرف خفى فيقول : هذا الطريق بالقسم مع العدول عند أوقع فى الحس من القسم المباشر ، وهذا الوقع هو المقصود من العبارة ، وهو يتم أحسن تمام بهذا الأسلوب الخاص ، الذى يتكرر فى مواضع عديدة من القرآن ... ثم نعرز من وراء حقيقة القيامة وحقيقة النفس اللوامة . فى ظلال القرآن - للشهيد / سيد قطب ٦ / ٣٧٦٨ - دار الشروق - ط ١١ - ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

شعر [١] ، أى : بئر جور ، قال أبو عبيدة : " لا " من حروف الزوائد ، كنعمة الكلام ، والمعنى إلغاؤها ، كما قال عز ذكره : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [٢] ، أى : والضالين [٣] .

وكما قال زهير :

فَوَرَّثَ المَجدِ لا يَغتالُ هِمَّتَهُ ∴ عَنِ الرِياسَةِ لا عَجزٌ وَلا سَأَمُ

أى : عجز وسأم ، وقال الآخر [٤] :

ما كانَ يَرضى رَسولُ اللهِ دينَهُمُ ∴ وَالطَيِّبانِ أَبو بَكرٍ وَلا عُمَرُ

وقال أبو النجم : فما ألوم اليوم أن لا تسخرا ، أى : أن تسخرا .

---

(١) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٥٠ .

(٢) سورة الفاتحة : ٧ ، وللعلماء فى الآية أقوال : فيقول مكى - رحمه الله - حكايةً : دخلت " لا " فى قوله " ولا الضالين " لئلا يتوهم أن " الضالين " عطف على " الذين " ، قال : وقيل هى مؤكدة بمعنى غير ، وحكى الطبرى : أن " لا " زائدة ، وقال : هى هنا على نحو ما هى عليه فى قول الراجز : فما ألوم اليوم ألا تسخرا ، أراد : أن لا تسخرا ، وفى قول الأحوص :

ويلحينى فى اللهو أن لا أحبه ∴ وللهو داع دائب غير عاقل

وقال الطبرى : يريد : ويلحينى فى اللهو أن أحبه ، وقال الطبرى أيضا : ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ... ﴾ سورة الأعراف : ١٢ ، وربما جاز أن تكون " لا " بمعنى الحذف ولأنها تقدمها الجحد فى صدر الكلام ، فسقى الكلام الآخر مناسبا للأول ، كما قال الشاعر :

ما كانَ يَرضى رَسولُ اللهِ دينَهُمُ ∴ وَالطَيِّبانِ أَبو بَكرٍ وَلا عُمَرُ

ليسا على ابن عطية على بيت الأحوص : ويلحينى فى اللهو ... إلخ البيت ، علق بقوله : وبيت الأحوص إنما معناه بزيادة أن لا أحبه ، فـ " لا " فيه متمكنة . انظر : الطبرى ١ / ٢١ ، ١٢٢ ، والدر الوجيز ١ / ٧٧ ، ٧٨ .

(٣) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٥١ .

(٤) البيت بلا نسبة فى الدر الوجيز ١ / ٧٧ ، ٧٨ .

من الملائكة فقال : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ [١] [٢] .

د - ذكر العام بعد الخاص :

أورد التعالبى تلك الصورة تحت الصورة السابقة ولكن تحت قوله " فصل فى ضد ذلك " أى ضد ذكر الخاص بعد العام ، فيقول : قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [٣] ، فخص السبع ، ثم أتى بالقرآن العام بعد ذكره إياها [٤]

هـ - الزيادة [٥] :

---

(١) سورة البقرة : ٩٨ ، قال الزركشى حول هذه الآية : فإن عداوة الله راجعة إلى عداوة جزء ، فيكون جبريل كالمذكور لربع مرات ، فإنه اندرج تحت عموم ملائكته ، وتحت عموم جزء ، ثم خصوصه بالتخصيص عليه ، ويجوز أن يكون لمؤمل معاملة العدد ، فيكون الذكر ثلاثا ، وذكرهما بعد الملائكة - مع كونهما من الجنس - دليل على قصد التنويه بشرفهما ، على أن التفصيل إن كان بسبب الإفراد فقد عدل للملائكة عنه بسبب الإضافة ، ولله يلحظ شرفهما على غيرهما . البرهان ٢ / ٤٦٦ ، ٤٦٧ .

(٢) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٢٩ .

(٣) سورة الحجر : ٨٧ ، وفى هذه الآية يندب جليا ذكر الله - عز وجل - القرآن العظيم وهو اسم عام يدخل فى عمومه من ذكر قبله ، وهو السبع المثانى ، والغرض من هذا الذكر إفادة الشمول مع العناية بالخاص لذكره مرتين ، مرة وحده ومرة مندرجا تحت العام . انظر : البحارى ٣ / ٣٨١ .

(٤) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٢٩ .

(٥) هذه الصورة من صور الإطناب تحدث عنها العلماء قديما وحديثا ، فقد تحدث سيبويه عن الزيادة ، فذكر زيادة الحروف وأثرها فى الكلام ، وتعرض لشتى الحروف التى تأتى زائدة فى الكلام ، مثل الكاف ، والباء ، ومن ، وما ، ولا ، وإن ، وغير ذلك ، مع الوضع فى الاعتبار بأن " الحكم بزيادة حرف يعنى جواز حذفه ، لكن حذفه أو سقوطه يفوت المعنى إذ لم يفقه ، ويذهب البلاغة ، ويكشف نور الإعجاز ، ولهذا لا يصح أن يقال : إن فى القرآن كلمة ملغاة ، أو ..... أنها زائدة زيادة معنوية ، فإن هذا ضرب من الخيال " . انظر : الكتاب ٤ / ٢٠٧ ، وأثر النحاة فى البحث البلاغى ص ٧٧ ، وفى البلاغة القرآنية - د / صباح عبيد دراز ص ٢٥٥

لأمر ما تصرفت الليالى ∴ لأمر ما تصرفت النجوم

أى : لأمر تصرفت [1] [2]

٥ - زيادة " من " :

يقول التعالبى : ومنها زيادة " من " كقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا ﴾ [3] ، والمعنى : وما تسقط ورقة ، وكما قال عز ذكره : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ ﴾ [4] ، أى : وكم ملك ، وكما قال جل اسمه : ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ [5] ، وكما قال عز وجل : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ [6] .

٦ - زيادة " اللام " :

يقول التعالبى : ومنها زيادة " اللام " كما قال عز وجل : ﴿ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [7] ، أى : ربهم يرهبون ، وكما قال تقدست أسماؤه : ﴿ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ [8] ، أى : إن كنتم الرؤيا تعبرون .

---

(١) ذكر التعالبى التقدير : لأمر تصرف ، ويبدو أنه سقط سهوا تقديره - فى الشطر الأول - لأمر تصرف .

(٢) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٥١ .

(٣) سورة الأنعام : ٥٩ . يقول ابن عطية " ومن " زائدة . انظر الوجيز ١ / ٢٩٩ .

(٤) سورة النجم : ٢٦ .

(٥) سورة الأعراف : ٤ .

(٦) سورة النور : ٣٠ . قيل إن " من " فى الآية للتبعيض . وتقييد الغض بمن للشهوة دون الحفظ فى أمر النظر من السعة . ينظر : أبو السعود ٦ / ١٦٩ ، وروح المعانى ١٨ / ١٣٨ - ويصح أن تكون " من " لبيان الجنس ، ويصح أن تكون لابتداء الغاية . انظر : الجرر الوجيز ٤ / ٤٧٧ .

(٧) سورة الأعراف : ١٥٤ .

(٨) سورة يوسف ٤٣ .

يقول التعالبى ومنها التاء الزائدة ... تقول : لات حين كذا ، وفى القرآن : ﴿ وَلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ [1] ، أى : لا حين ، و" التاء " زائدة وصلة .

٣ - زيادة " لا " :

حيث يقول : ومنها زيادة " لا " كقوله عز وجل : ﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [2] ، أى : أقسم ، وكقول رؤبة : لى بنسر لا حور سرى وما شعر [3] ، أى : بشر حور ، قال أبو عبيدة : " لا " من حروف الزوائد ، كلغة الكلام ، والمعنى إلغازها ، كما قال عز ذكره : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾ [4] ، أى : والضالين [5] .

---

(١) سورة ص : ٣ ، يقول ابن عطية " ولات " بمعنى : ليس ، واسمها مضمر عند سيبويه ، تقديره : ولات الحين حين مناص ، وهى " لا " لحقتها تاء كما تقول : ربت وثمت ، قال الزجاج : وهى كتاء جلست وقامت ... ولا تستعمل " لا " مع التاء إلا فى الحين والزمان والوقت والجوهرى ذلك قول الشاعر : لات ساعة ندم . انظر الوجيز ٤ / ٤٩٢ .

(٢) سورة القيامة : ١ ، ويشير صاحب الظلال إلى الزيادة فى الآية من طرف خفى فيقول : هذا التعبير بالقسم مع العدول عنه أوقع فى الحس من القسم المباشر ، وهذا الوقع هو المقصود من العدول ، وهو بنهم أحسن تمام هذا الأسلوب الخاص ، الذى يتكرر فى مواضع متفرقة من القرآن - ثم تنزل من وراء حقيقة القيامة وحقيقة النفس اللوامة . فى ظلال القرآن - للشهيد / سيد قطب ٦ / ٣٧٦٨ - دار الشروق - ط ١١ - ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

(٣) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٥٠ .

(٤) سورة الفاتحة : ٧ ، وللعلماء فى الآية أقوال : فيقول مكى - رحمه الله - حكاية : دخلت " لا " فى قوله " ولا الضالين " لئلا يتوهم أن " الضالين " عطف على " الذين " . قال : وقيل هى مؤكدة بمعنى غير ، وحكى الطبرى : أن " لا " زائدة ، وقال : هى هنا على نحو ما جاء فى قول الراجز : فما ألوم البيض ألا تسخرا ، أراد : أن لا تسخرا ، وفى قول الأحوص :

ويلحينى فى اللهو أن لا أحبه ... وللهو داع دائب غير غافل

وقال الطبرى : يريد : ويلحينى فى اللهو أن أحبه ، وقال الطبرى أيضا : ومن ذلك قوله عز وجل : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ ... ﴾ سورة الأعراف : ١٢ ، وإنما جاز أن تكون " لا " بمعنى الجحد ولأنها تضمنها الجحد فى صدر الكلام ، فسوغ الكلام الإيجاب بعدها الأول ، كما قال الشاعر :

طيرانا ، كما قال النبى ﷺ : " كلما سمع هيعة طار إليها " [1] ، وكذلك قال الله عز وجل : ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [2] ، فذكر الألسنة لأن الناس يقولون : قال فى نفسه ، وقلت فى نفسى ، وفى كتاب الله عز وجل : ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ [3] ، فاعلم أن ذلك القول باللسان دون كلام النفس [4] .

حديث الثعالبى عن الحروف ومواقعها :

فى فقه اللغة وسر العربية عقد الثعالبى بابا تحدث فيه عن بعض الحروف ومعانيها ومجئ بعض الحروف بمعنى غيرها [5] .

الباء :

فعند حديثه عن " الباء " قال : ومنها " الباء " الواقعة موقع " من " و " عن " ؛ كما قال الله عز وجل : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ [6] ، أى :

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه فى كتاب الإمارة ، وباب " فضل الجهاد والرباط " ، والهيعة : الصوت يسمعه عند حضور العدو .

(٢) سورة الفتح : ١١ .

(٣) سورة المجادلة : ٨ .

(٤) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٨٩ .

(٥) والحق أن استعمال الحروف بعضها مكان بعض لا ينبغى أن يؤخذ هكذا دون قيد ، وعلى كل حال ، هذا وقد تحدث ابن جنى عن هذا الباب فقال : " هذا باب يتلقاه الناس مفسولا - أى عاريا من الدقة - ساذجا من الصنعة ، وما أبعد الصواب عنه ، وأوقفه دونه ، وذلك أنهم يقولون : إن " إلى " تكون بمعنى " مع " ويحتجون لذلك بقول الله - سبحانه : ﴿ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ سورة الصف : ١٤ ، أى : مع الله ... ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا ، لكنا نقول : إنه يكون بمعناه فى موضع دون موضع على حسب الأحوال الداعية إليه ، والمسوغة له ، فأما فى كل موضع وعلى كل حال فلا ، ألا ترى أنك إذ أخذت بظاهر هذا القول خلطا هكذا ، لا فقد لزمك عليه أن تقول : مررت إلى زيد وأنت تريد معه .. ونحو ذلك مما يطول ويتفاحش . انظر : الخصائص ٢ / ٣٠٨ - ٣١٠ .

(٦) سورة المعارج : ١ ، وانظر : البرهان ٤ / ٢٥٧ .

عن عذاب واقع ، وكما قال : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾ [1] ، أى : منها ، ومنها " الباء " التى فى موضع " فى " كما قال الأعشى [2] : ما بكاءُ الكَبِيرِ بالأطلالِ ، أى : فى الأطلال ، ومنها " الباء " التى فى موضع " على " كما قال الشاعر :

أَرَبَّ يَبُولُ الثُّعْلُبانُ بِرَأْسِهِ ∴ لَقَدْ هانَ مَنْ بالَتْ عَلَيْهِ الثَّعالِبُ

أى : على رأسه .

ومنها " الباء " التى للتبعيض كما قال عز ذكره : ﴿ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ ﴾ [3] ، أى: بعضها [4] .

" الواو " :

وعند " حديثه عن " الواو " قال : " ومنها واو الثمانية " [5] كقولك : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة ، خمسة ، ستة ، سبعة ، وثمانية ، وفى القرآن

---

(١) سورة الإنسان : ٦ ، وانظر : البرهان ٤ / ٢٥٧ .

(٢) فى ديوانه ص ٥٣ .

(٣) سورة المائدة : ٦ ، ويقول الزركشى فى هذه الآية ، والصحيح أن " الباء " فى " برؤوسكم " إلى " باء " الاستعانة ، فإن " امسح " يتعدى إلى مفعول ، وهو المزال عنه ، وفى آخر حرف الجر وهو الرجل ، فيكون التقدير : " فامسحوا أيديكم برؤوسكم " . انظر : البرهان ٤ / ٢٥٧ .

(٤) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

(٥) ولعل خلاصة ما قيل عن عده " الواو " هو ما أورده الزركشى حيث قال : " إن العرب تدخل الواو بعد السبعة إيذانا بتمام العدد ، فإن السبعة عندهم هى العقد التام كالعشرة عندنا ، فيأتون بحرف العطف الدال على المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه ، فتقول : خمسة ، ستة ، سبعة ، وثمانية ، فيريدون " الواو " إذا بلغوا الثمانية ، حكاه البلوى عن عبد الله بن جابر عن أبى بكر بن عيدوس ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ ﴾ سورة الحاقة : ٧ ، ونقل عن ابن خالويه وغيره ، ومثلوه بقوله تعالى : ﴿ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ سورة الكهف : ٢٢ ، بعدما ذكر العدد مرتين بغير واو ، وقوله تعالى فى صفة الجنة : ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ سورة الزمر ٧٣ ، بالواو لأنها ثمانية ، وقال تعالى فى صفة النار : ﴿ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ سورة الزمر ٧١ ، بغير " واو " لأنها سبعة ، وجعل ذلك فرقا بينهما ، وقوله : ﴿ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ سورة التوبة ١١٢ ، بعدما ذكر قبلها من الصفات بغير " واو " ، وقيل دخلت فيه إعلاما =

الكريم : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ [1] ، وكما قال تعالى في ذكر جهنم : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ [2] ، بلا " واو " ؛ لأن أبوابها سبعة ، ولما ذكر الجنة قال : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا ﴾ [3] ، فأدخل فيها " الواو " لأن أبوابها ثمانية ، و " واو " الثمانية مستعملة في كلام العرب [4] .

- باب الأمر بالمعروف نهيه عن المنكر في حال أمره بالمعروف فيهما حقيقتان متلازمتان ، وليس قوله : ﴿ كَبُرَتْ وَاشْتَكَرَ ﴾ سورة النحريم : ٥ ، من هذا القبيل ، خلافا لبعضهم ؛ لأن " الواو " لو أسقطت منه لاستحال المعنى ، لتناقض الصفتين . ولم يثبت الحذاق " واو " الثمانية ، وأولوا ما سيل على العطف ، أو " واو " الحال وإن دخلت في آية الجنة ، لبيان أنها كانت مفتحة قبل مجيئهم ، وحذفت في الأول لأنها كانت مغلقة قبل مجيئهم ، وقيل : زيدت في صفة الجنة علامة لزيادة رحمة الله على غضبه وعقوبته ، وزعم بعضهم أنها لا تأتي في الصفات إلا إذا تكررت النعوت ، وليس كذلك بل يجوز دخولها من غير تكرار ، قال تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ سورة الكهف : ٢٢ . انظر : البرهان ٤ / ٤٣٨ - ٤٤٠ ، والإتقان ١ / ٥٧٢ ، وانظر : درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي ص ٢٨٥ - ط بيروت ١٣٩٣ هـ ، وانظر : معاني الحروف للرماني - تحقيق د/ عبد الفتاح شلبي ص ٦٣ - ط ١٩٧٣ م

(١) سورة الكهف : ٢٢ .

(٢) سورة الزمر : ٧١ .

(٣) سورة الزمر : ٧٣ .

(٤) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

ومما يمكن أن يندرج تحت باب الإطناب ما أورده أبو منصور الثعالبي تحت : فصل في **الإشباع والتأكيد** " حيث يقول : العرب تقول عشرة وعشرة ، فتلك عشرون كاملة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ [1] ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ [2] ، وإنما ذكر الجناحين ، لأن العرب قد تسمي الأسراع طيرانا ، كما قال النبي ﷺ : " كلما سمع صيحة طار إليها " [3] ، وكذلك قال الله عز وجل : ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [4] ، فذكر الألسنة لأن الناس يقولون : قال في نفسه ، وقلت في نفسي ، وفي كتاب الله عز وجل :

---

(١) سورة البقرة : ١٩٦ ، والآية عند ابن قتيبة من قبيل الزيادة والتأكيد كذلك ، وقال الزمخشري : والفائدة الدلالة على أن بعض العدد هنا كبعضه هناك تفضيلا لزيادة به من جهة التأكيد العلم ، وفي قوله " كاملة " تأكيد آخر ، وقيل زيادة توسيط بينهما ، وأن لا يقصر عن عددها ، وقيل كاملة في وقوعها بدلا من الهدي . انظر : الزمخشري مشكل القرآن ص ٢٦٢ ، والكشاف ١ / ٢٤٥ ، والإيضاح ١ / ٢٠٩ .

(٢) سورة الأنعام : ٣٨ ، قال الطبري : فإن قال قائل فما وجه " ولا طائر يطير " وهل يطير إلا بجناحيه ، فما الخبر عن طيرانه بجناحين من الفائدة ؟ قيل : إن الله جل ثناؤه إنما خاطب بكتابه بما في لغة العرب ومذاهبها فيما يعارفونه بينهم ويستعملونه في منطقهم فإن كان من كلامهم ما أخبر الله تعالى ذكره أن الكلام أن يقولوا : كلمت فاه بفمي ، وعاينت بالله وحدي ، وعرفته بيدي ، عناهم جل ثناؤه بما يعارفونه في كلامهم ويستعملونه في مخاطبهم . انظر : الطبري ٥ / ١٨٦ ، وانظر : وأضاف ابن عطية : وقوله " بجناحيه " تأكيد وبيان وزوال للاستعارة المتضمنة في هذه اللفظة . فقد يقال " طائر " للسعد والنحس . انظر المحرر الوجيز ٢ / ٢٩١ .

(٣) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة ، وباب " فضل الجهاد والرباط " ، ولفظه " الصوت يسمعه عند حضور القتال

(٤) سورة الفتح : ١١ .

﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ [١] ، فاعلم أن ذلك القول باللسان دون كلام النفس [٢] .

حديث الثعالبي عن الحروف ومواقعها :

في فقه اللغة وسر العربية عقد الثعالبي بابا تحدث فيه عن بعض الحروف ومعانيها ومجيء بعض الحروف بمعنى غيرها [٣] .

الباء :

فعند حديثه عن " الباء " قال : ومنها " الباء " الواقعة موقع " من " و " عن " ، كما قال الله عز وجل : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ [٤] ، أي : عن عذاب واقع ، وكما قال : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾ [٥] ، أي : منها ، ومنها " الباء " التي في موضع " في " كما قال الأعشى [٦] : ما بُكاءُ

---

(١) سورة المجادلة : ٨ .

(٢) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٨٩ .

(٣) والحق أن استعمال الحروف بعضها مكان بعض لا ينبغي أن يؤخذ هكذا دون قيد ، وعلى كل حال ، هذا وقد تحدث ابن جني عن هذا الباب فقال : " هذا باب يتلقاه الناس مضمولا - أي عاريا من الدلالة - مباذحا من الصنعة ، وما أبعد الصواب عنه ، وأوقفه دونه ، وذلك أنهم يقولون : إن " إلى " تكون بمعنى " مع " ويحتجون لذلك بقول الله - سبحانه : ﴿ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ سورة الصف : ١٤ ، أي : مع الله ... ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا ، لكنا نقول : إنه يكون بمعناه في موضع دون موضع على حسب الأحوال الداعية إليه ، والمسوغة له ، فأما في كل موضع وعلى كل حال فلا ، ألا ترى أنك إذا أخذت بظاهر هذا القول غفلا هكذا ، لا طلبنا لزمك عليه أن تقول : سرت إلى زيد وأنت تريد معه .. ونحو ذلك مما يطرق ويفاحش . انظر : الخصائص ٢ / ٣٠٨ - ٣١٠ .

(٤) سورة المعارج : ١ ، وانظر : البرهان ٤ / ٢٥٧ .

(٥) سورة الإنسان : ٦ ، وانظر : البرهان ٤ / ٢٥٧ .

(٦) في ديوانه ص ٥٣ .

الكبير بالأطلال ، أي : في الأطلال ، ومنها " الباء " التي في موضع " على " كما قال الشاعر :

أَرَبَّ يَبُولُ الثُّعْلُبَانُ بِرَأْسِهِ ... لَقَدْ هَانَ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ

أي : على رأسه .

ومنها " الباء " التي للتبعيض كما قال عز ذكره : ﴿ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ ﴾ [١] ، أي : بعضها [٢] .

" الواو " :

وعند " حديثه عن " الواو " قال : " ومنها واو الثمانية [٣] كقولك : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة ، خمسة ، ستة ، سبعة ، وثمانية ، وفي القرآن

---

(١) سورة المائدة : ٦ ، ويقول الزركشي في هذه الآية : والصحيح أن " الباء " في " برؤوسكم " أفا " باء " الاستعانة ، فإن " مسح " يتعدى إلى مفعول ، وهو المزال عنه ، وإلى آخر بحرف الجر وهو المزيل ، فيكون التقدير : " فامسحوا أيديكم برؤوسكم " . انظر : البرهان ٤ / ٢٥٧ .

(٢) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

(٣) ولعل خلاصة ما قيل عن هذه " الواو " هو ما أورده الزركشي حيث قال : " إن العرب تدخل الواو بعد السبعة إيذانا بتمام العدد ، فإن السبعة عندهم هي العقد التام كالعشرة عندنا ، فيأتون بحرف العطف الدال على المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه ، فتقول : خمسة ، ستة ، سبعة ، وثمانية ، فيزيدون " الواو " إذا بلغوا الثمانية ، حكاه الكوفي عن بعض نحاة أبي بكر بن عندوس ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ ﴾ سورة الحاقة : ٧ ، ونقل عن ابن خالويه وغيره ، ومنشؤه قوله تعالى : ﴿ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ سورة الكهف : ٢٢ ، بعدما ذكر العدد مرتين بغير واو ، وقوله تعالى في صفة الجنة : ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ سورة الزمر ٧٣ ، بالواو لأنها ثمانية ، وقال تعالى في صفة النار : ﴿ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ سورة الزمر ٧١ ، بغير " واو " لأنها سبعة ، وأصل ذلك فرقا بينهما ، وقوله : ﴿ وَانْتَهَوْا عَنْ قَوْلِكُمْ ﴾ سورة التوبة ٩٢ ، بعدما ذكر قبلها من الصفات بغير " واو " ، وقيل دخلت فيه إعلاما بأن الأمر بالمعروف ناء عن المنكر في حال أمره بالمعروف فيهما حقيقتان متلازمتان ، وليس قوله : ﴿ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ سورة التحريم ٥ ، من هذا القبيل ، لعطفها لتغايرهم ، لأن " الواو " لو أسقطت منه لاستحال المعنى ، إذ يلتبس الصفتين ، ولم يثبت "

الكريم : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ [1] ، وكما قال تعالى في ذكر جهنم : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ [2] ، بلا " واو " ، لأن أبوابها سبعة ، ولما ذكر الجنة قال : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا ﴾ [3] ، فألحق بها " الواو " لأن أبوابها ثمانية ، و " واو " الثمانية مستعملة في كلام العرب [4] .

= المحذوفة " واو " الثمانية ، والواو ما سبق على العطف ، أو " واو " سكان وما دخلت في آية سكنة ، لبيان أنها كانت مقحمة قبل عدتهم ، وحذفت في الأولى لأنها كانت مسقطة قبل عدتهم ، وقيل : زيدت في صفة سكنة علامة لزيادة رعاية الله على فضله وعظيم ، وزعم بعضهم أنها لا تأتي في الصفات إلا إذا تكررت النعوت ، وليس كذلك بل يجوز دخولها من غير تكرار ، قال تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ سورة الكهف : ٢٢ . انظر : البرهان ٤ / ٤٣٨ - ٤٤٠ ، والإتقان ١ / ٥٧٢ ، وانظر : درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي ص ٢٨٥ - ط بيروت ١٣٩٣ هـ ، وانظر : معاني الحروف للرماني - تحقيق د / عبد الفتاح شلبي ص ٦٣ - ط ١٩٧٣ م .

(١) سورة الكهف : ٢٢ .

(٢) سورة الزمر : ٧١ .

(٣) سورة الزمر : ٧٣ .

(٤) الفروق اللغوية وأثرها في العربية ص ٢٦٢ : ٢٦٣ .

" أو " :

ذكر التعالبي أن " أو " تأتي بمعنى " واو العطف " كما قال الله جل وعلا : ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ [1] ، أي : آثما وكفورا .

---

(١) سورة الإنسان : ٢٤ . واعلم أن هناك تباين بين العلماء حول هذه الآية ، فابن عطية يقول : " وقوله (آثما أو كفورا) هو تحجير في أن يعرف الذي ينبغي ألا يطيعه بأي وصف كان من هذين ، لأن كل واحد منهم فهو آثم أو كفور " . والثعلبي - أيضا - يقتضي في الإمام عن طاعة آثم من المعصية ، أو كفور من المشركين ، وقال أبو عبيدة : " أو " بمعنى " الواو " وليس في هذا تخيير ، فالظاهر من كلام ابن عطية أن بيان هذا التخيير بـ " أو " هذا دون " الواو " في أنه إذا قيل : ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ جاز أن يتوهم أن النهي عن طاعتهما معا ، والثالث جاء التخيير بـ " أو " للدلالة على هذا الغرض ، وهذا ما قرره سيبويه في باب " أو " في غير الاستفهام ، والزجاج . انظر : المحرر الوجيز ٥ / ٤١٤ ، وانظر : الكتاب ٣ / ١٨٤ ، ١٨٨ ، وانظر : مجاز القرآن ٢ / ٢٨٠ ، وقد رد ابن عطية على أبي عبيدة ، ومن لم يكون رد على الثعالبي في جعله " أو " في الآية بمعنى " الواو " ، وأن التخيير بـ " الواو " لا يكون في الكلام معنى التخيير بين أي الشخصين شاء يمتثل أن يطاع ، ويعلل ابن عطية ما ذهب إليه قائلا : " لأن كل واحد منهم فهو آثم أو كفور " ، وقد خرج بذلك الزمخشري حيث قال : فإن قلت : معنى " أو " ولا تطع أحدهما فهلا جيء بـ " الواو " ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا " قلت " لو قيل ولا تطعهما جاز أن يطيع أحدهما ، وإذا قيل ولا تطع أحدهما علم أن الناهي عن طاعته أحدهما من طاعتهما جميعا لفي ، كما إذا في أن يقول لأبويه أف علم أنه منهي عن ضربهما على طريق الأولى . انظر : الكشاف ٤ / ١٧١ ، أما العلامة الطيبي فقد أدرج هذه الآية تحت باب التقسيم ، وهو نوع من أنواع الكلام الذي يسمى بالذكر . انظر : كتاب التبيان في علم المعاني والبديع والبيان - للعلامة / شرف الدين حسين بن محمد الطيبي - تحقيق د / هادي عطية مطر الهلالي ص ٤٩١ ، ٤٩٢ - عالم الكتب - مكتبة النهضة العربية - ط أولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

الفصل الثانى

فيما تضمنه " فقه اللغة وسر العربية "

من علم البيان

حديث الثعالبى عن التشبيه :

تكلم الثعالبى عن التشبيه وبعض أدواته ومثل لذلك ، كما عرض لتقييد التشبيه وإطلاقه من خلال ما ساقه من تحليلات لبعض الأمثلة .

كما تكلم عن " الكاف " فقال : " إنها تدخل فى أول الاسم للتشبيه فتخفضه نحو قولك : زيد كالأسد ، وهند كالقمر [١] ، كما تكلم عن " كأن " وحسب ، إذ قال " أدوات التشبيه وهى " كأن " ، وكاف التشبيه وحسبه ، وكذا " [٢] كما تكلم عن التقييد دون أن يعرف ما هو التقييد ، ولكن اتضح ذلك من خلال ما ساقه من هذا المثال إذ قال تحت : " فصل فى زيادة المعنى حسنا بزيادة لفظ ، كما تقول زيد ليث ، إنما شبهته بليث فى شجاعته ، فإذا قال : زيد كالليث الغضبان ، فقد زاد المعنى حسنا وكسا الكلام رونقا ، كما قال الشاعر :

شَدَدنا شدَّةَ الليثِ .·. عدا والليثُ غضبانُ

أما عن التشبيه المطلق فلم يشر إليه الثعالبى ولكنه فهم عنه ضمنيا حيث ساق بعد البيت السابق - الذى ورد فيه التشبيه مقيدا - قول امرئ القيس [٣] :

---

(١) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٥٨ .

(٢) السابق ص ٢٧٦ .

(٣) فى ديوانه ص ١٥ .

..... ∴ ترائبها مصقولةٌ كالسجنجلِ .

فلم يزد على تشبيهها بالمرآة ، ثم يقول الثعالبي : وذكر ذو الرمة أخرى فزاد في المعنى حيث قال :

..... ∴ وَخدٌ كمِرآةِ الغريبةِ أسجَحُ [1]

لأن الغريبة لا يكون لها من يعلمها محاسنها من مساوئها ، فهي تحتاج إلى أن تكون مرآتها أصفى وأنقى ، لتريها ما تحتاج إلى رؤيته من محاسن وجهها ومساويه ومن هذا قول الأعشى [2] :

لقى اللَّمَّ عن آلِ المُحلَّقِ جفنةً ∴ كجابيةِ الشيخِ العِراقيِّ تفهَقُ [3]

فشبه الجفنة بالجابية ، وهي الحوض ، وقيدها بذكر الشيخ العراقي ؛ لأن العراقي إذا كان بالبر ولم يعرف مواضع الماء ، ومواقع الغيث فهو على جمع الماء الكثير أحوص من البدوي العارف بالمنافع والأحساء [4] .

وقال ابن الرومي :

من عبقٍ كأنه دمعةُ المهـ ـ ∴ ـجورِ يبكي وعينهُ مَرْهاءُ

فشبهها بدمعة المهجور في الرقة ، وزاد في الرقة بأن وصف عينه بالمرء ، وهو طول العهد بالكحل ليكون الدمع مع رقته أصفى وأسلم مما يشوبه ، وهذا من لطائف الشعراء [5] .

---

(١) أسجح : الأسجح الوجه : الحسن الخد ، الساد (سجح) .

(٢) في ديوانه ص ٢٧٥ .

(٣) تفهق : أصل الفهق : الامتلاء ، ومنه معنى التفهيق : الذي يتوسع في كلامه ، ويفهق به فمه ، الساد (فهق) .

(٤) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٩٠ .

(٥) من الواضح تمكن بروز شخصية الثعالبي الناقدة من خلال ما ساقه من أبيات وعلقه الموازنات فيها بينها . فيرجح أو يقف عند الحد ذاكر الحسن المعيب ، بل يتعدى ذلك إلى تعليل هذا على ذاك معللا ما ذهب إليه ، وأحيانا ما يحكم على أبيات معينة بالرداءة وهذا من لطائف الشعراء .

كلام الثعالبي عن التشبيه المؤكد [1] :

يقول تحت " فصل في التشبيه بغير أداة التشبيه " هذه طريقة أنيقة غلب عليها المحدثون المتقدمون فأحسنوا وظرفوا ولطفوا ، وأرى أنها تسوغ السابق إليها في قوله [2] :

يبكي فيذري الدرَّ من نرجسٍ ∴ ويلطمُ الوردَ بعُنَّابِ

فشبه الدمع بالدر ، والعين بالنرجس ، والخد بالورد ، والأنامل بالعناب من غير أن يذكر الدمع والخد والأنامل من غير استعارة بأداة من أدوات التشبيه ، وهي " كأن " ، وكاف التشبيه ، وحسبه كذا ، وفلان حسن ولا القمر ، وجواد ولا المطر .

---

(١) التشبيه المؤكد : هو ما حذفت أداته نحو " زيد أسد " ويتضمن بالتأكيد تأكيد المشابهة بين الطرفين فالكلام الأول من الكلامين ، فلا يمكن للمخاطب فيهما ولو كان أداة التشبيه ، ويقابل هذا النوع من التشبيه ، التشبيه المرسل : وهو ما ذكرت فيه الأداة وأرسلت في الكلام ، لذا هي مرسلة نحو " زيد كالأسد " ولقد نبهوا على أن التشبيه المؤكد لابد وأن تحذف أداته حتى لا تتغير به ، لأن القدر في قوة الذكر ، وهذا من شأنه يضعف القرب بين طرفي التشبيه فالأداة من شأنها الذي لا يظهره القدر المحذوف . انظر : مواهب الفتاح ٣ / ٢٦٤ ، وشروحات وتعليقات في علم البيان - د / بكري محمد بكي ص ١٣٦ - مطبعة الأمانة - ط أولى ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م ، ويلاحظ أن الثعالبي لم يذكر أيا من النوعين ، وذكر فيهم من خلال ما ساقه من أمثلة أنه يريد التشبيه المؤكد ، أي ما حذفت أداته ، ولقد صرح بذلك حين قال " فصل في التشبيه بغير أداة التشبيه " .

(٢) في ديوانه ص ٣٦١ .

وقد زاد أبو الفرج الواواء على أبي نواس فخصص ما ربعه بقوله [1] :

وانصرفت لؤلؤاً من نرجسٍ وسقتْ ∴ وَرْداً وعضّتْ على العُنّابِ بالبَرَدِ [2]

والزيادة : فى تشبيه الثغر بالبرد ، ومن هذا الباب قول أبي الطيب المتنبي [3] :

---

(١) ويلاحظ على هذين البيتين أن التعالبي قد ساقهما على التشبيه الذى حذفت منه الأداة ، وما يفهم من كلام الإمام عبد القاهر الجرجاني حول هذين البيتين أنهما على الاستعارة أقرب وأولى من الحمل على التشبيه ، لأنك كلما زدت إرادتك للتشبيه إخفاء ازدادت حسنا ، يقول : " فانت الآن إذا نظرت إلى قوله " وذكر بيت الواواء .. " فرأيته قد أفادك أن " الدمع " كان لا يعرم من شبه اللؤلؤ ، و " العين " من شبه النرجس شيئا ، فلا تحسين أن سبب الحسن الذى تراه فيه ، والأريحية التى تجدها عنده : أنه أفادك ذلك فحسب ، وذاك أنك تستطيع أن تجيء به صريحا فتقول : " فاسبلت دمعا كأنه اللؤلؤ يعبره ، من عين كأنها النرجس حقيقة ، ثم لا ترى من ذلك الحسن شيئا ، ولكن اعلم أن سبب أن راقك ، وأدخل الأريحية عليك ، أنه أفادك فى إثبات شدة الشبه مزية ، وأوجدك فيه حاصة قد غرز فى طبع الإنسان أن يرتاح لها ، ويجد فى نفسه هزة عندها ، وهكذا حكم نظائره كقول أبي نواس :

يبكي فيذري الدرّ من نرجسٍ ∴ ويلطم الورد بعناب

وقول المتنبي :

بدت قمراً ومالت خوط بانٍ ∴ وفاحت عنبراً ورنت غزالا

انظر : دلائل الإعجاز ص ٤٤٩ ، ٤٥٠ .

(٢) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٧٦ .

(٣) وقيل أن هذا البيت من قبيل التشبيه المعقد فالد عبارة عن تشبيهات مفردة تجاورت بحيث يحمل كل تشبيه بعضه من صفات المدات الموصوفة . انظر : أساليب البيان والصورة القرآنية – دراسة تحليلية لعلم البيان – د / محمد إبراهيم شادى ص ١٣٨ – دار وائل – ط أولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥م ، كما أن فى هذا البيت لونا بديعيا ألا وهو التقسيم ، وقد ذكره الخطيب تحت عنوان "التقسيم تحوين آخرين " حيث قال : وقد يطلق التقسيم على أمرين : أحدهما أن يذكر أحوال الشئ مضافا إلى كل حال ما يليق بها ، ففى البيت قد ذكر أحوال تلك الجوبة مضافا إلى كل حال ما يناسبه . انظر : الإيضاح ص ٢٠٥ ، وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح فى علوم البلاغة – للشيخ / عبد المتعال الصعيدى ٤ / ٣٥ – مكتبة الآداب – ط سابعة ١٤١٠ هـ / ١٩٩١ م

بدت قمراً ومالت خوط بانٍ ∴ وفاحت عنبراً ورنت غزالا

وقول أبي القاسم الزاهي :

سفرن بدوراً وانتقبن أهلة ∴ ومسن غصوناً وانتقبن جآذرا

وقول أبي الحسين الجوهري الجرجاني فى الشراب :

إذا فض عنه الختم فاح بنفسجا ∴ وأشرق مصباحا وثور عنصرا

وقول مؤلف الكتاب :

رنا ظبياً وغنى عندليبا ∴ ولاح شقائقاً ومشى قضيبا [1]

وقوله أيضا :

وفيك لنا فتنٌ أربعٌ ∴ تسلُّ علينا سيوفَ الخوارجْ

لحاظُ الظباءِ وطوقُ الحمام ∴ ومشيُ القباجِ وزيُّ الدارجْ

ومن هذا الباب قول ابن سكرة :

الخد وردٌ والصدغ غاليةٌ ∴ والريق خمرٌ والثغر من برد

وقول القاضي عبد العزيز فى المدح :

لحاظك أقدار ، وكفك مزنة ∴ وعزمك صمصام ، ورفدك غيل

ومما أورده التعالبي من تشبيهات – كما نص على ذلك – وهي عند غيره من الاستعارة قوله فى سياق حديثه عن أوصاف للفرس جرت مجرى التشبيه : إذا كان طويلا ضخما قيل له : هيكل ، تشبيها إياه بالهيكل ، وهو البناء المرتفع ، فإذا كان طويلا شديدا قيل له : مشذب تشبيها بالنخلة المشذبة ، فإذا كان محكم الخلقة قيل له : صلدم تشبيها بالصلدم وهو الحجر الصلد [2]

---

(١) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٧٧ .

(٢) انظر : فقه اللغة وسر العربية ص ١٢٠ .

ومن التشبيهات عنده وهي استعارة ما أورده في سياق حديثه عن أوصاف الفرس المشتقة من أوصاف الماء ، حيث يقول : إذا كان الفرس كثير الجرى فهو : غمر ، شبه بالماء الغمر وهو الكثير ، فإذا كان سريع الجرى فهو : يعبوب ، شبه باليعبوب وهو الجدول السريع الجرى ، فإذا كان كلما ذهب عنه إحضار جاءه إحضار فهو : جموم ، شبه بالبئر الجموم ، وهي التي لا ينزح ماؤها ، فإذا كان متتابع الجرى فهو : مسح ، شبه بمسح المطر وهو تتابع شآبيبه ، فإذا كان خفيف الجرى سريعه ، فهو : فيض وسكب ، شبه بفيض الماء وانسكابه ، وبه سمي أحد أفراس النبي ﷺ ، فإذا كان لا ينقطع جريه فهو : بحر ، شبه بالبحر الذي لا ينقطع مادّه . وأول من تكلم بذلك النبي ﷺ في وصف فرس ركبه [1] .

ومن التشبيه الذي أورده الثعالبي عندما تكلم عن الأكسية ، فقال : " الخميصة كساء أسود مربع له علمان .... وأنشد :

إذا جُرِّدَت يوماً حسبتَ خميصةً ∴ عليها وجرياًّ يتقي ذُلامِصا [2]

وزعم أنه أراد شعرها وشبهه بالخميصة [3] .

كلام الثعالبي عن الحقيقة والمجاز :

والحق أن المتأمل في فقه اللغة وسر العربية للثعالبي لا يجد فيه حديثاً له عن الحقيقة لا من قريب أو بعيد ، اللهم إلا في موضع واحد من كتابه ، جاءت على سبيل إبراز المقابل من الكلام الذي معها على أنه مجاز فكان أن ذكر كلمة حقيقة مجردة [4] .

---

(١) انظر : السابق ص ١٢١ .

(٢) ذلامص : الذلامص : البرّاق . معجم مقاييس اللغة لابن فارس – تحقيق / عبد السلام محمد هارون ٢ / ٣٣٧ – دار الجيل بيروت – ط أولى ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .

(٣) انظر : فقه اللغة وسر العربية ص ١٧٧ .

(٤) ورد هذا الموضع في قوله : " فصل في إضافة الفعل إلى ما ليس بفاعل على الحقيقة " . فقه اللغة وسر العربية ص ٢٦٩ .

أما حديثه عن المجاز فقد ورد في أكثر من موضع من كتابه من قبيل قوله ، وهذا على المجاز والاستعارة ، أما إفراده بالحديث فقد جاء تحت فصل أسماه باسمه فقال " فصل في المجاز " لكنه لم يعرض له ذاكراً مفهومه ، وكل ما ذكره تحت هذا العنوان الذي ساقه أنه نقل قولاً للجاحظ فقال : " قال الجاحظ : للعرب إقدام على الكلام ثقة بفهم المخاطب من أصحابهم عنهم [1] ، كما جوزوا قوله : أكله الأسود ، وإنما يذهبون إلى النهش ، والدفع ، والعض ، وأكل المال ، وإنما يذهبون إلى الإفناء ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [2] ، ولعلهم شربوا بعلك الأموال الأبدة ، ولبسوا الخبل وركبوا الصعالي [3] ، ولم ينفقوا منها درهما في سبيل الله إلا أكل ، وجوزوا " أكلته النار " وإنما أبطلت عينه ، وجوزوا أيضا أن يقولوا : ذقت ما ليس يطعم ، وهو

---

(١) والحق فلقد كان المجاز عند العرب " منهلا موروداً عذب الارتشاف ، وسبلا مسلوكة فوطئ سلوكه العطاف حتى كثر في كلامهم وصار أكثر استعمالا من الحقيقة ، وحالط بنسابة قلوبهم ، فأتوا منه بكل معنى رائق ، وبكل لفظ فائق يربون به خطبهم وأشعارهم ، وما إلى هذا تؤول كلامهم ، حتى صارت الحقيقة دثارهم ، وصار المجاز شعارهم " . البلاغة العربية في ثوبها الجديد – للشيخ / عبد المتعال الصعيدي ص ٧١ ، ٧٢ – مكتبة الآداب – ط أولى ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م .

(٢) سورة النساء : ١٠ ، والحق أن الجاحظ علق على هذه الآية بقوله : إنما هي من باب المجاز والتشبيه ، على شاكلة قوله تعالى ﴿ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ سورة المائدة : ٤٢ . انظر : الحيوان للجاحظ ٥ / ٢٥ ، بينما عليه المتأخرون أن هذه الآية من قبيل الاستعارة التصريحية ، حيث شبه إتلاف مال اليتيم بالأكل ، وفي ذلك يقول ابن عطية " وسمي أخذ المال على كل وجوهه أكلا لما كان المقصود هو الأكل وبه أكثر الانتفاع فأتى بالأبرز " ويرد على ذلك صيرورة النكتة من ذكر كلمة " البطون " فيقول " وفي نصه على البطون من الفصاحة بين فضلهم ، والتشنيع عليهم بقبح مكارم الأخلاق ، ومن الجهالة بسبب البطن ، وهو تفاضل الأنساب والأمهات حتى يدخلوا تحت وعيد النار . انظر : المحرر الوجيز ٢ / ١٤ .

(٣) الصعالي : الدواب حسنة السير .

قول الرجل إذا بالغ فى عقوبة عبده : ذق ! وكيف ذقه ؟ أى : وجدت طعمه ؟ ، قال الله عز وجل : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [١] ، وقال عز من قائل : ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [٢] ، وقال تعالى : ﴿ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ﴾ [٣] ، ثم قالوا : طعمت لغير الطعام كما قال العرجى [٤] :

فإن شئت أحرمت النساء سواكم ∴ وإن شئت لم أطعم نقاخاً [٥] ولا بردا [٦]

قال الله تعالى : ﴿ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ [٧] ، يريد : ومن لم يذق طعمه . قال الجاحظ فى قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [٨] ، يريد :

---

(١) سورة الدخان : ٤٩ ، والآية من قبيل الاستعارة المكنية حيث شبه ما يكون فيه هذا العذاب من أهوال جسام بشئ يطعم ، وأضمر المشبه به فى النفس على طريق الاستعارة بالكناية ، وفى إثبات الذوق لهذا المطعوم استعارة تخيلية ، وهى قرينة لتلك المكنية .

(٢) سورة النحل : ١١٢ ، وفى شروح التلخيص ذكر العلامة الدسوقى أن الاستعارة بأنواعها التحقيقية والمكنية والتخيلية قد اجتمعت فى هذه الآية الكريمة ، وهذه الآية حكاية عن تلك القرية التى كفرت بأنعم الله ، فالتحقيقية فى تشبيه ما غشى أهل تلك القرية عند جوعهم وخوفهم من الصفرة وانقلاع اللون والتحول باللباس بجامع الاشتمال فى كل ، واستعير اللباس لذلك ، والمكنية فى تشبيه ما غشيهم عند جوعهم وخوفهم بمطعوم مر بشع ، تشبيها مضمرا فى النفس على طريق الاستعارة بالكناية ، والتخيلية فى إثبات الإذاقة لهذا المطعوم . انظر : حاشية الدسوقى ٤ / ٧٠ (شروح التلخيص) ، ودراسات وتطبيقات فى علم البيان ص ٢١٠ .

(٣) سورة الطلاق : ٥ ، وكذلك هذه الآية يجرى القول بالاستعارة فيها ما جرى فيما سبق .

(٤) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٧٠ : ٢٧١ .

(٥) النقاخ : بالضم الماء البارد العذب الصافى الخالص الذى يكاد ينفخ الفؤاد ببرده ، اللسان (نقخ) .

(٦) فى ديوانه ص ١٠٩ .

(٧) سورة البقرة : ٢٤٩ ، قال الطبرى : لم يطعمه لم يذقه ، من طعم الشئ إذا ذاقه مأكولا أو مشروبا ، قال الشاعر : وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا . انظر : الطبرى ٢ / ٦١٩ ، والكشاف ١ / ٢٤٥ .

(٨) سورة البقرة : ٢٦ .

فما دونها ، وهو كقول القائل : فلان أسفل الناس ، فتقول : وفوق ذلك بعض قولك فوق مكان قولهم : هو شر من ذلك ، وقال الفراء : " فما فوقها " فى الصغر [١] .

ما ورد فى فقه اللغة وسر العربية من أمثلة المجاز المرسل .

فى عدة مواضع من فقه اللغة وسر العربية ذكر الثعالبى بعض علاقات المجاز المرسل ، ومثل لكل علاقة بشاهد من القرآن أو غيره ، وما مثل به هنا هو فى الغالب لم يخرج عما مثل به كثير من البلاغيين لهذا النوع من المجاز فيما بعد .

يقول الثعالبى بعد ذكره فصلا فى الحمل على اللفظ والمعنى للمجاورة – وهو فصل نحوى صرف – وهذا فصل يناسبه ويقاربه ، ثم أورد تحت قوله : " العرب تسمى الشئ باسم غيره إذا كان مجاورا له ، أو كان منه بسبب ، كتسميتهم المطر بالسماء [٢] ، لأنه منها نزل ، وفى القرآن : ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ [٣] ، أى : المطر ، وكما قال جل اسمه : ﴿ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ

---

(١) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٧٢ .

(٢) وهذا لمجاورة المطر السماء فتكون العلاقة إذا المجاورة .

(٣) سورة هود : ٥٢ ، وفى الآية مجاز مرسل علاقته المجاورة ، وعبر السمرقندى هذه الآية إلى علاقة السببية . انظر : تفسير بحر العلوم لأبى الليث السمرقندى – تحقيق الشيخ / على محمد معوض وآخرين ٣ / ٢٧٧ – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م ، إذ يمكن رد علاقة المجاورة إلى علاقة السببية فيما بين المتجاورين الذين يشيهان فى ملازمتهما للزم السبب مع المسبب ، وذلك كما فى قولهم : ضربت من الرواية ، ومعنى ذلك شربت من الرى ، والحاصل أن المزادة – هى السقاء الذى يوضع على الراوية من بعير وغيره ، فكونهما متجاورين ، يوضع الأول على الثانى ، ولا ينفصل – فى غالب حال القوم – عن صاحبه ، وصح إطلاق أحدهما على الآخر والعلاقة المجاورة . دراسات وتطبيقات فى علم البيان ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

خَفِيٌّ ﴾ [١] ، أى : عنا ، ولا خفاء بمناسبتهما ، وكما يقال : عفيف الإزار [٢] ، أى : عفيف الفرج ، فى أمثال كثيرة [٣] .

وفى موضع آخر من الكتاب يقول : " فصل فى ذكر المكان والمراد به من فيه [٤] ، العرب تفعل ذلك ، قال الله تعالى : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ [٥] ، أى : أهلها ، وكما قال جل جلاله : ﴿ وَإِنِّي لَمِنَ

---

(١) سورة يوسف : ٣٦ ، والعلاقة فى هذه الآية اعتبار ما سيكون ، وهى : تسمية الشىء باسم ما يؤول إليه ، وقال الزركشى فى معنى الآية : إنما سمى عصير العنب خمرا باعتبار ما يؤول إليه ، إذ الخمر لا يعصر وإنما يعصر العنب . انظر : شروح التلخيص ٤ / ٤٠ ، والبرهان ٢ / ٢٧٩ .

(٢) فى هذا القول احتمالان ، الأول أن تكون العلاقة المجاورة ، الثانى أن تكون العلاقة الحالية وضابطها : أن يذكر المحل ويراد به الحال فيه ، فقد أطلق فى هذا القول اسم المحل وهو الإزار وأراد الحال فيه وهو الفرج ، وإن أميل إلى العلاقة الثانية ، لأن الكلام فيها مختلف بسياج من العفاف وهذا ما يتوافق مع ما سيق له هذا القول ، ألا وهو إبراز العلة .

(٣) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٣١ .

(٤) ما أراده وأطلقه التعالبى هو ما أطلق عليه المتأخرون " الحالية " .

(٥) سورة يوسف : ٨٢ ، والآية - كما أراد التعالبى - من قبيل المجاز المرسل وعلاقته الحالية ، حيث أطلق اسم المحل وهو القرية ، وأراد الحال فيه وهم أهلها ، هذا وقد جوز الشهاب فى سؤال القرية أن يكون مجازا عن سؤال أهلها أو فى النسبة ، أو يقدر فيه مضاف ، وذكر السيوطى والزركشى أنها من المجاز المرسل ، وجوز الرضى كونها استعارة أو حقيقة ، وجعلها العلوى من مجاز القصان ، وعند ابن الأثير وأبى هلال وابن سنان من الإيجاز بحذف المضاف . ينظر : حاشية الشهاب ٥ / ٢٠٠ ، والبرهان ٢ / ٢٧٤ ، والإتقان ٣ / ١٢٦ ، والمثل السائر ٢ / ٩٩ ، والمسائل البلاغية فى كتاب الصاحبى ص ٦٨ ، هذا ومن الباحثين من ذهب إلى أن العلاقة فى الآية الحالية ، وحاول التوفيق بين ما ذهب إليه وبين ما قيل أنها مجاز بالحذف ثم خلص إلى ترجيح المجاز المرسل على المجاز بالحذف ، فقال : وما قيل فى الآية من كونها تحتمل المجاز بالحذف أى : واسأل أهل القرية ، وهذا يدعم ما نحن فيه ، إذ فيها مجاز ، والمقدر هو نفس السؤال فى علاقة الحالية ، كما أن ذكر القرية يشعر بالأهل ، وهذا من شأنه يقوى جانب المجاز المرسل على جانب المجاز بالحذف ، لأن المذكور دال على صاحبه ، كدلالة اللفظ على المعنى ، والجزء على الكل أو عكسها . دراسات وتطبيقات فى علم البيان ص ١٧٥ .

أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ [١] ، أى : أهل مدين ، وكما قال جميل بن معمر :

فَمَا زِلْتُ تَسْتَحْلِي الرُّوَاةُ نَشِيدَهَا ∴ وَتُظْهِرُ بِهَا مِنْ لاَعِجِ الْحُبِّ سَائِرُ
يَغُضُّ عَلَيْهَا الشَّيْخُ إِبْهَامَ كَفِّهِ ∴ وَتَجْرِي بِهَا أَحْيَاؤُكُمْ وَالْمَقَابِرُ

أى : أهل المقابر ، والعرب تقول : أكلت قدرا [٢] ، أى : أكلت ما فيها ، وكذلك قول الخاصة : شربت كأسا [٣] [٤] .

وفى باب الزيادة : ذكر التعالبى عدة آيات وبعضا من الأحاديث عدها مما هو من قبيل المجاز والأخرى من قبيل الكناية ، وذلك لأنها مما وقع فيهما زيادة الأسماء ، والمعروف أن الزيادة فى القرآن تسمى صلة ، وقد نص التعالبى على ذلك إذ جعل ما أورده تحت قوله : " فصل مجمل فى الزوائد والصلات التى هى من سنن العرب [٥] ، فمن ذلك قوله تعالى :

---

(١) سورة الأعراف ٨٥ ، والعلاقة نفسها كتلك الآية السابقة .

(٢) والعلاقة الحالية .

(٣) والعلاقة - أيضا - الحالية .

(٤) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٣٠ .

(٥) السابق ص ٢٤٩ ، ويقول الزركشى : الأكثرون ينكرون إطلاق كلمة الزيادة فى كتاب الله ويسمونه التأكيد ، ومنهم من يسميه بالصلة ، ومنهم من يسميه المقحم ، وقال ابن جنى : كل حرف زيد فى كلام العرب فهو قائم مقام إعادة الجملة مرة أخرى ، والأول أن يجب كلام الله مثل هذا الحشو واللغو ، لأن مراد النحويين بالزائد من جهة الإعراب لا من جهة المعنى ، ومن العلماء من ينكر وقوع الزائد فى القرآن كالمبرد وثعلب ، وقال الطرطوشى : الذى عن العلماء والفقهاء والمفسرين على إثبات الصلات فى القرآن وقد وجد ذلك على وجه لا يسع إنكاره ، وعند ابن السراج أنه ليس فى كلام العرب زائد لأنه تكلم بغير فائدة ، ومنهم من جعل وجوده كالعدم وهو أفسد الطرق ، وفى موضع آخر تكلم الزركشى عن وجوب تحكيم إطلاق الزائد على بعض الحروف الواردة فى القرآن ، فيقول نقلا عن أبى نصر القشورى : وتكرر ما يقع فى كلامهم إطلاق الزائد على بعض الحروف كـ " ما " فى نحو : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ سورة آل عمران : ١٥٩ ، والكاف فى نحو : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ سورة الشورى ١١ ، ونحوه ، ثم يقول : والذى عليه المحققون : تجنب هذا اللفظ فى القرآن ، إذ الزائد لا معنى له ، وكلام الله منزه عن ذلك وممن نص على ذلك من المتقدمين الإمام داود الظاهرى فى قوله : ليس فى القرآن صلة . انظر : البرهان ٣ / ٧١ وما بعدها ، ٢ / ١٧٧ - ١٧٨ ، والمسائل البلاغية فى كتاب الصاحبى ص ٨٩ : ٩٠ .

﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [1] ، أى : ويبقى ربك .

وقوله تعالى : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ ﴾ [2] ، أى : عليه [3] .

ومن أمثلة المجاز المرسل فى فقه اللغة وسر العربية ، ما أورده التعالبى تحت " فصل فى اقتصارهم على ذكر بعض الشئ وهم يريدون كله ، فقال : ذلك من سنن العرب فى قولهم : قعد على ظهر راحلته [4] ، وقول الشاعر : الواطئين على صُدورِ نعالِهِم ، وقول لبيد : أو يرتبط بعض النفوس حمامها ،

---

(١) سورة الرحمن : ٢٧ ، فهم من كلام الزمخشرى وبعض العلماء أن الوجه هنا من قبيل المجاز المرسل بعلاقة الجزئية ، حيث يقول : المراد ذاته ، والوجه يعبر به عن الجملة والذات.وقد جعل الزركشى هذه الآية مرة من قبيل المجاز المرسل ومرة من مجاز الزيادة نقلا عن الواحدى فى قوله : عن أكثر المفسرين أن الوجه صلة ، وقد ورد اسم الله كثيرا كقوله : " ويبقى وجه ربك " أى : ويبقى ربك . ينظر : حاشية الشهاب ٧ / ٩٠ ، والبرهان ٢ / ٢٧٨ ، ٣ / ٢٦٤ ، والكشاف ٤ / ٤٩ ، والمسائل البلاغية فى كتاب الصاحبى ص ٩٠ ، والملاحظ على التعالبى أنه ذكر هذه الآية عند حديثه عن باب الزيادة ، ثم ذكرها فى موضع آخر تحت " فصل فى اقتصارهم على بعض الشئ وهم يريدون كله " وهذا نص منه على ما عرف فيما بعد بالعلاقة الجزئية حيث يعبر عن الجزء ويراد الكل .

(٢) سورة الأحقاف : ١٠ ، قال الشهاب أن هذه الآية كناية بمعنى أنه إن كان مشهد على مثله فشهادته عليه من باب أولى ، وما ذكره الرازى يدل على عدم الحذف هنا لقوله : ذكروا فى قوله " على مثله " وجوها ، والأقرب أن نقول أنه ﷺ قال لهم : أرأيتم إن كان هذا القرآن من عند الله كما أقول وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثل ما قلت فآمن واستكبر ، ثم أنتم كنتم ظالمين أنفسكم . الشهاب ٨ / ٢٩ ، والتفسير الكبير ٧ / ٤٨١ ، وقال السيوطى : نص أكثر النحويين على أن الأسماء لا تزاد ، ووقع فى كلام المفسرين الحكم عليها بالزيادة فى مواضع كقولك " مثل " فى قوله : ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ ﴾ سورة البقرة : ١٣٧ . انظر : الإتقان ٣ / ٢٢١ ، والمسائل البلاغية فى كتاب الصاحبى ص ٩١ .

(٣) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٥٣ .

(٤) والمراد الواحدة كنايه

أراد كل النفوس ، وفى القرآن : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ [1] ، ومن هذه للتبعيض ، والمراد : يغضوا أبصارهم كلها ، وقال الفرزدق :

لَمَّا أَتَى خَبَرُ الزُّبَيرِ تَوَاضَعَت ... سُورُ المَدِينَةِ وَالجِبَالُ الخُشَّعُ

يعنى : أسوار المدينة [2] .

الاستعارة : [3]

الحق أن التعالبى فى فقه اللغة وسر العربية قد أورد أكثر من شاهد ومثال على الاستعارة ، ولكنه يوردها تارة تحت باب المجاز وإن لم ينص على أن ما أورده استعارة ، وتارة نجد بعض الاستعارات مبثوثة فى الحنايا متفرقة من كتابه ، وأحيانا يجعل لها فصلا مستقلا مثل هذا الذى نحن بصدده ، يقول : ذلك من سنن العرب هى : أن تستعير للشئ ما يليق به [4] ، ويضعوا الكلمة مستعارة له من موضع آخر كقولهم فى استعارة الأعضاء لما ليس من الحيوان :

---

(١) سورة النور : ٣٠ ، وقال الزمخشرى أن " من " للتبعيض وحق الأحسن أن تذكر معها وبعض متعلقه ، ودخلت فى غض البصر دون حفظ الفرج ، لأن أمر النظر أوسع ، ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهم ، هذا وما أراده التعالبى من ذكر هذه الآية أنه أمر بحفظ بعض البصر ، والمراد كله ، وقال البيضاوى : أى ما يكون غير محرم ، وقال الشهاب : هو يناسب نفى " من " التبعيضية ، فالمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل ، وجعل البعض عن بعض البصر غضا عن بعض البصر ، وفى الكشاف أن فيه كناية حسنة ليست فى حفظ الفروج ، ولذا لم يدخل فيه " من " . ينظر : الكشاف ٣ / ٦٠ ، وحاشية الشهاب ٦ / ٣٧٢ ، والبرهان ٢ / ٢٦٥ .

(٢) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٨٦ .

(٣) الجدير بالذكر أن أول ورود لكلمة استعارة عند التعالبى - وإن لم يقصد الاستعارة الاصطلاحية ، بل قصد الاستعارة فى اللغة – وردت فى قوله " كل ما يستعار من قدوم أو شعرة أو قلم أو قصعة فهو : ما عون " فقه اللغة وسر العربية ص ٢٥ .

(٤) يؤكد التعالبى هنا ملمحا هاما يدل على تمكن فهمه للاستعارة ، وذلك حين تأكيده على وجود التوازم والتوافق بين المستعار منه والمستعار له ، حيث قوله فى تحديده لمفهوم الاستعارة " أن يستعير للشئ ما يليق به " ، ولعل هذا هو ما نص عليه الإمام عبد القاهر الجرجانى عند حديثه عن تقسيم المجاز اللغوى إلى استعارة وغيرها ، وهو أن المثل لابد أن يكون " الصفة " وملائمة بين ما نقلها إليه وما نقلها عنه . أسرار البلاغة ص ٤٠٨ .

رأس الأمر ، رأس المال ، وجه النار ، عين الماء ، حاجب الشمس ، أنف الجبل ، أنف الباب ، لسان النار ، ريق المزن ، يد الدهر ، جناح الطريق ، كبد السماء ، ساق الشجرة [١] .

وكقولهم فى الفرق [٢] : اشتقت عصاهم ، شالت نعامتهم ، مروا بين سمع الأرض وبصرها ، فشا بينهم الطربان ، وكقولهم فى اشتداد الأمر : كشفت الحرب عن ساقها [٣] ، أبدى الشر عن ناجذيه [٤] ،

---

(١) هذه الاستعارات التى ساقها التعالبى لا تخرج عن كونها استعارة بالكناية ففى قوله " رأس الأمر " يقال شبه الأمر بالرأس وحذف المشبه به وأقام شيئا من لوازمه وهو الرأس ، وإثبات الرأس للأمر يعد استعارة تخييلية ، والتخييلية قرينة للاستعارة المكنية ، وما قيل فى هذا المثال يقال فى بقية الأمثلة .

(٢) هذه الاستعارات منها ما يمكن حمله على الاستعارة ومنها ما يحتمل أن يكون كناية عن الفرق وقد نص هو بنفسه حينما قال : " كقولهم فى الفرق " فمثلا فى المثال الأول : اشتقت عصاهم ، فهو يحتمل الاستعارة على تشبيه الفرقة بينهم بانشقاق العصا وصدعها ، ويحتمل أن يكون كناية عن الفرقة ، قال أبو عبيدة : الأصل فى العصا الاجتماع ، ولا تدعى عصا حتى تكون جميعا ، وهو مثل أصله : أن الحاجين يكونون فى رفقة ، فإذا فرقهم الطريق شقت العصا التى معهما ، فأصل هذا لصقها وهذا لصقها . انظر : مجمع الأمثال للميدانى - تحقيق / محمد محيى الدين عبد الحميد ١ / ٣٦٤ - مطبعة السعادة ، وانظر : أساس البلاغة للزمخشرى ص ٢٣٩ - طبع دار المعرفة بلبنان ١٤٠٢ هـ ، وانظر : المسائل البلاغية فى كتاب الصاحبى ص ١٠٤ .

(٣) وفى هذا المثال قد " الساق " هنا إما مجاز عن الشدة باستعارتها لها ، فتكون استعارة تصريحية أصلية ، وإما استعارة مكنية ، إذ شبه الحرب بالرجل الذى جد فى أمر فكشف عن ساقه للقيام بذلك ، ينظر : الكشاف ٤ / ١٤٧ ، والتفسير الكبير ٨ / ١٩٢ ، وقد يكون هذا القول كناية عن الشدة وصعوبة الخطب . وقد ألمح التعالبى حينما وضع هذا المثال وما بعده تحت قوله " وكقولهم فى اشتداد الأمر " .

(٤) يحتمل هذا القول أن يكون استعارة مكنية حيث شبه بدو الشر وظهوره بإنسان يبدى عن نواجذه ، ثم حذف ما حذف وأبقى من لوازم المشبه به الخلوف نواجذه ، وإثبات النواجذ استعارة تخييلية وهى قرينة لتلك الاستعارة المكنية ، ويحتمل كون هذه القول كناية عن شدة هذا الشر وصعوبته .

حمى الوطيس [١] ، دارت رحى الحرب [٢] .

وكقولهم فى ذكر الآثار العلوية : ومن ذلك افتر الصبح عن نواجذه [٣] ، ضرب بعموده ، سل سيف الصبح من غمد الظلام ، باح الصباح بسره [٤] ، ارتفع النهار ، ترحلت الشمس ، شاب رأس الليل ، تنفس الربيع ، تعطر النسيم ، تبرجت الأرض ، انحسر قناع الصيف ، شابت مفارق الجبال ، يسوم عبوس قمطرير ، وكقولهم فى محاسن الكلام : الأدب غذاء الروح [٥] ، الشباب باكورة الحياة ، الشيب عنوان الموت ، التأر فاكهة الشتاء ، العيال سوس المال ، الوحدة قبر الحى ، الصبر مفتاح الفرج ، الدين داء الكرام ، الربيع شباب الزمن ، الولد ريحانة الروح [٦] .

---

(١) والمراد من هذا القول : شدة الحرب ، فإن الوطيس فى أصل الوضع هو التنور فنقل إلى الحرب استعارة ، فهو استعارة تصريحية أصلية ، ولم يسمع هذا اللفظ على هذا الوجه من غير النبى ﷺ ، هذا وقد شاعت استعارات معانى التسعير والحمى والنار ونحوها للحرب ومنه القول " حمى الوطيس " . انظر : المثل السائر لابن الأثير - ت / محمد محيى الدين عبد الحميد ١ / ٧٧ ، وانظر : التحرير والتنوير ١ / ١١٩٢ .

(٢) هذا القول جرى على طريق الاستعارة التمثيلية ، ورحى الحرب حومتها ، ثم بالدوران دارت ، ولعلها استعارة مكنية فيمكن أن تكون بمعنى دارت رحى الحرب إذا قامت على ساقها وأصل الرحى التى يطحن بها . انظر : اللسان " رحا " .

(٣) هذا المثال يحتمل الاستعارة المكنية حيث شبه بدو الصباح بإنسان يبدى عن نواجذه ، ثم حذف ما حذف وأبقى من لوازم المشبه به افتراق نواجذه ، ويحتمل أن يكون كناية عن الظهور .

(٤) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٩٢ .

(٥) هذا المثال استعارة تصريحية أصلية ، حيث شبه الأدب فى إشباع الروح بالغذاء بجامع الإشباع فى كل ، ثم ادعى أن الأدب المذكور فرد من أفراد الغذاء ، واستعير اسم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية ، لأن اللفظ المستعار هو لفظ " الغذاء " اسم جنس .

(٦) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٩٣ .

وفى مواضع أخرى من كتابه نجد الثعالبى يورد أمثلة على أنها استعارة ، وهى كثيرة معروفة ، من ذلك قوله : فصل فى الاستعارة : عيش أخضر ، موت أحمر ، نعمة بيضاء ، يوم أسود ، عدو أزرق [١] ، وعند أدنى تأمل لهذه الأمثلة نجدها كلها كنايات [٢] .

وقد يورد استعارات ناصا عليها من خلال حديث له عن شئ لا يتعلق بناحية الاستعارة ولا جمالها ولا طريقتها ، إلا أن ما يعنيه هو الإشارة إلى أن هذه اللفظة مستعارة من كذا ، جاء ذلك عند قوله " فصل فى اصطلاحات الأطباء على ألقاب الحميات " فيقول الثعالبى : " فإذا كانت - أى الحمى - نائبة كل يوم فهى : الوِرْد ، فإذا كانت تنوب يوما ويوما لا فهى : الغِبُّ ، فإذا كانت تنوب يوما ويومين لا ثم تعود فى الرابع فهى الرِّبْعُ ، وهذه الأسماء مستعارة من أوراد الإبل [٣] .

---

(١) السابق من ٧٣ ، ٧٤ .

(٢) وقد أورد الخطيب الخزرجى عند حديثه عن الطباق قول الحريرى : " فجمد أزرق الحبوب الأصفر ، وأخضر العيش الأحمر أسود يومى الأبيض ، وأبيض فودى الأسود حتى رثى لى العدو الأزرق فيا حبذا الموت الأحمر ، ثم علق على ذلك بقوله : ومن الناس من سمى نحو من ذكرنا تدبيجا ، وفسره بأن يذكر فى معنى من المدح أو غيره بقصد الكناية أو الرمزية . انظر : الإيضاح ص ١٩٤ .

(٣) بالنسبة لهذه الاستعارة من كلمة الورد ، فإن أصل الورد إتيان الماء ، ثم صار إتيان كل شئ وردًا ، وهكذا يقال فى هذا المثال ، فلما كانت الحمى نائبة كل يوم سميت وردا على ذلك الطريقة فهى استعارة تصريحية أصلية ، وكذلك يقال فى الغب فهو أقصر الإظماء وذلك أن ترد الإبل يوما وتصدر يوما ، وكذلك فى استعارة كلمة الربع ، والارتباع هو إرسال الإبل على الماء كلما شاءت وردت بلا وقت . ينظر فى ذلك : اللسان مادة " غب ، وربع " .

وأحيانا أخرى يشير الثعالبى إلى كلام مبنى على الاستعارة ولكنه لا ينص عليها ، يقول مثلا : الناقة إذا كانت لا تدنو من الحوض مع الزحام ، وذلك لكرمها فهى : رقوب " وهى من النساء التى لا يبقى لها ولد " [١] وفى موضع آخر يقول : الرجل إذا رفع رأسه ، وغض بصره ، قيل : أقمح ، وأقمح البعير : إذا رفع رأسه عند الحوض ، وامتنع عن الشرب ريًا [٢] ، وذلك حينما يكون هذا الرجل على تلك الصورة من رفع رأسه وغض بصره يكون شبيها بالبعير حينما يرفع رأسه عند الحوض ويمتنع عن شرب الماء ريًا ، وهذا هو القماح ثم اشتق منه أقمح على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

وكذا قوله فى موضع آخر : القطب : خلط اللبن بالماء ، ومن ذلك يقال : جاء القوم قاطبة ، أى جميعا مختلطين ، وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ؛ وذلك لأن قاطبة ، " كما زعم الخليل لا تتصرف فى موضع المصدر [٣] .

---

(١) السابق ص ١٢٥ ، وأصل كلمة رقوب : أن الرقوب من الإبل تلك التى لا تدنو إلى الحوض من الزحام وذلك لكرمها فسميت رقوبا فاستعير ذلك للمرأة التى لا يبقى لها ولد على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ، وفى الحديث عنه ﷺ قال : " ما تعدون الرقوب فيكم ؟ قالوا : الذى لا يبقى له ولد ، قال : بل الرقوب الذى لم يقدم من ولده شيئا " ، والنبى ﷺ يبين مفهوم الرقوب على ما لم يتعارف الناس عليه بأنها التى لا يعيش لها ولد ، فإنه إذا مات ولدها قبلها تلقاها من أبواب الجنة فاعتظم بها من مثة . انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير - عند الرؤوف المناوى ٤ / ٥٧ - المكتبة التجارية الكبرى مصر - ط أولى ١٣٥٦ هـ .

(٢) فقه اللغة وسر العربية ص ١٤٦ .

(٣) السابق ص ١٩١ . وانظر : الأصول فى النحو لأبى بكر محمد بن سراج النحوى البغدادى - تح د / عبد الحسين الفتلى ١ / ١٦٣ - ط ثالثة - مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٨ م .

ومما يحسب للثعالبي فى عرضه لبعض الاستعارات - وإن لم ينص عليها - أنه أحيانا يقرر ما يذهب إليه إما بالحديث الشريف ، أو أقوال العرب وأشعارهم ، فمن ذلك مثلا قوله : السهم إذا خرج من الرمية ثم الحط فسذهب فيهو : مارق ، ومنه الحديث فى وصف الخوارج : " يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية "[1] . وبذلك تكون استعارة تصريحية تبعية حيث اشتق من المرق يمرقون أى يخرجون من الدين ويجوزونه ويتعدونه .

وعن اسماء الطريق يقول منها : المخرف وهو : الطريق فى الأشجار ، ومنه الحديث :" عائد المريض على مخارف الجنة حتى يرجع "[2] ، وهذا مما أكده بالحديث الشريف .

أما ما قرره بأقوال العرب كحديثه عن ورود الناقة يوما نصف النهار ويوما غدوة : العرنجاء ، ومنه قولهم : يأكل العرنجاء ، إذا أكل كل يوم مرة واحدة[3] .

أما ما أكده من استعارة بأشعار العرب وذلك عند حديثه عن أنواع الثياب ، فذكر أن هناك الثياب المطير الذى فيه صور الطير ، والثياب المخيل الذى فيه صور الخيل ، ثم يقول الثعالبى : وما أحسن قول أبى الحسن السلامى فى وصف معركة عضد الدولة :

والنقع ثوب بالسور مطير ∴ والأرض فرش بالجياد مخيل[4]

وقد يقال إن الثعالبى قد كان يؤكد ما يذهب إليه من استعارات بأحاديث نبوية ، وبأقوال العرب وأمثالهم ، فلم لم يقرر بالقرآن الكريم ، والحق أنه أفرد عنوانا مستقلا عن الاستعارة فى القرآن الكريم ، فجاء فى فقه اللغة وسر العربية :

---

(١) السابق ص ١٤٩ ، وصحيح مسلم ٢ / ٧٤٢ .
(٢) السابق ص ٢٠٦ .
(٣) السابق ص ١٤٤ .
(٤) السابق ص ١٧٤ .

فصل من استعارات القرآن :

عرض الثعالبى فى هذا الفصل طائفة من الآيات الكريمة التى احتوت على هذا الفن ، فن الاستعارة ، ومع أن الفصل بعنوان " استعارات القرآن " إلا أنه لم يخل من استعارات فى الأشعار ، يقول الثعالبى تحت هذا الفصل : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ ﴾[1] ، و ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[2] ، و ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾[3] .

---

(١) سورة الزخرف : ٤ ، أورد الزركشى هذه الآية تحت مباحث الاستعارة حيث قال وحقيقة الاستعارة : أن تستعار الكلمة من شئ معروف لما لا شئ له ، وحكمة ذلك إظهار الخفى ، وإيضاح الظاهر الذى ليس بجلى ، أو تحصيل المبالغة أو المجموع ، فمثال إظهار الخفى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ ﴾ ، فإن حقيقته أنه فى أصل الكتاب ، فاستعير لفظ " الأم " للأصل ؛ لأن الأولاد تنشأ من الأم ، كما تنشأ الفروع من الأصول ، وحكمة ذلك تجلى ما ليس بجرئى حتى يشعر مرئيا ، فينتقل السامع من حد السماع إلى حد العيان ، وذلك أبلغ فى البيان . البرهان ٣ / ٤٣٣ . هذا وقد جعل ابن عطية الآية على الحقيقة حيث قال : " وأم الكتاب " اللوح المحفوظ ، وهذا قول الطبرى المفسر للقرآن والجمهور . المحرر الوجيز ٥ / ١٥ .

(٢) سورة الأنعام : ٩٢ ، وما قيل فى آية الزخرف السابقة يقال فى هذه الآية ، إلا أن بعضا جعل الآية من قبيل المجاز بالحذف على غرار : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ سورة يوسف : ٨٢ ، حيث قال : والتقدير الآية لتنذر أهل أم القرى . انظر : المحرر الوجيز ٢ / ٣٢٢ .

(٣) سورة الإسراء : ٢٤ ، وحمل الزركشى الآية مثالا على الاستعارة فى إيضاح ما ليس بجلى لتصير جليا ، وقال : لأن المراد أمر الولد بالذل لوالديه رحمة ، فاستعير لفظه أولا جناح ، ثم لجناح جناح ، وتقدير الاستعارة الثانية : " واخفض لهما جانب الذل " أى اخفض جانبك ذلا ، وحكمة الاستعارة فى هذا جعل ما ليس بمرئى مرئيا ، لأجل حسن البيان ، وما كان مراد خفض جانب الوالد للوالدين ، بحيث لا يبقى الولد من الذل لهما والاستكانة لهما ، استعير من الاستعارة إلى ما هو أبلغ من الأولى ، فاستعير الجناح ، لما فيه من المعانى التى لا تحصل لو حذف الجناح ، لأن من ذل جانبه إلى جهة السفل أمن ميل ، صدق عليه أن خفض جانبه ، وأما خفض يلتصق الجنب بالأرض ، ولا يحصل ذلك إلا بخفض الجناح كما تقدم . البرهان ٣ / ٤٣٣ ، وقيل إن فى القول الكريم وجهان ، الأول : أن يكون على سبيل الاستعارة التمثيل ، ويكون جناح الذل على خفض الجناح تمثيلا فى المواضع ، وجاز أن يكون استعارة فى المفرد وهو الجناح ، ويكون الخفض ترشيحا لها أو مستعارا ، الثانى : أن يكون من قبيل قوله ليد :

وغداة ريح قد وزعت وقرة ∴ إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

فيكون فى الكلام استعارة مكنية وتخييلية ، بأن يشبه الذل طائر منخفض من طير الشبكة مثلا ، وأثبت له الجناح تخييلا وخفض ترشيحا بالكتابة . انظر : روح المعانى ٥ / ٩٦ .

و ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ [1] ، و ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾ [2] ، و ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾ [3] ، و ﴿ أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ [4] ، و ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴾ [5] ، و ﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ [6] ،

---

(١) سورة التكوير : ١٨ ، وقيل عن هذه الاستعارة أنها من أحسن الاستعارة بوحقيقتها " بدأ انتشاره " و " تنفس " أبلغ فإن ظهور الأنوار في المشرق من أشعة الشمس قليلا قليلا شبيه وبين إخراج النفس مشاركة شديدة . انظر : البرهان ٣ / ٤٣٥ ، وقال الطاهر بن عاشور : النفس : حقيقة خروج النفس من الحيوان استعير لظهور الضياء مع بقايا الظلام على تشبيه خروج الضياء بخروج النفس على طريقة الاستعارة المصرحة ، أو لأنه إذا بدا الصباح أقبل معه نسيم فجعل ذلك كالتنفس له على طريقة المكنية بتشبيه الصبح بذي نفس ، مع تشبيه النسيم بالأنفاس . انظر : التحرير والتنوير .

(٢) سورة النحل : ١١٢ ، سبق القول في هذه الاستعارة انظر ص من الكتاب

(٣) سورة المائدة : ٦٤ ، يقول ابن عطية : وهذه استعارة بديعة تسمى عن قبض جوفيهم وتشتيت آرائهم وتفريق كلمتهم . انظر الوجيز ٢ / ٢١٦ ، هذا وقد ذهب أبو الليث إلى أنها كناية حيث قال أن المعنى : " كلما أجمعوا أمرهم على المكر بمحمد ﷺ وأصحابه فرقه الله - تعالى - وأطفأ نار مكرهم ، أي يسكنه الله ويوهن أمرهم ، وهذا على وجه الكناية . ينظر بحر العلوم ١ / ٤٤٨ .

(٤) سورة الكهف : ٢٩ ، والسرادق هنا تخيل لاستعارة مكنية بتشبيه النار بالدار ، وأثبت لها سرادق مبالغة في إحاطة دار العذاب بهم ، وشأن السرادق يكون في بيوت أهل الترف ، فإثباته للدار العذاب استعارة تبعية . انظر : التحرير والتنوير ١٥ / ٣٠٨ .

(٥) سورة الدخان : ٢٩ ، وهذا التعبير الاستعاري " يلقي ظلال الحزن ، كما يلقي ظلال الخفاء .. فهؤلاء الطغاة المتعالون لم يشعر بهم أحد في أرض ولا سماء ، ولم يأسف عليهم أحد في أرض ولا سماء ، وذهبوا ذهاب النمال وهم جبارين في الأرض يطأون الناس بالنعال ! وذهبوا غير مأسوف عليهم فهذا المكون بشتهم لانفصالهم عنه ، وهو مؤمن بربه ، وهم به كافرون ، وهم أرواح خبيثة شريرة منبوذة من هذا الوجود وهي تعيش فيه ! ، ولو أحس الجبارون في الأرض ما في هذه الكلمات من إيحاء لأدركوا هوانهم على الله وعلى هذا الوجود كله ، ولأدركوا أنهم يعيشون في الكون منبوذين منه : مخلوعين عنه ، لا ترطبهم به آصرة ، وقد قطعت آصرة الإيمان . في ظلال القرآن ٥ / ٣٢١٤ .

(٦) سورة المسد : ٤ ، وفي معنى " حالة الحطب " قيل : أنها مع كثرة ما كانت تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها وبخل لمن تمشي بالنميمة بحمل الحطب بين الناس ، أي يوقد بينهم النائرة ويثيرت الشر . فالحطب مستعار للنميمة ، وهي استعارة مشهورة . وقيل : " حالة الخطايا والذنوب " من قولهم : فلان يحطب على ظهره ، إذا كان يكتسب الآثام والخطايا ، والظاهر أن الحطب عليه مستعار للخطايا بجامع أن كلا منهما مبدأ للإحراق . انظر : روح المعاني ١٦ / ٤٧٢ .

و ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [1] ، و ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴾ [2] ، و ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ [3] ، و ﴿ وَلَمْ

---

(١) سورة مريم : ٤ ، يقول الزركشي : والمستعار الاشتعال ، والمستعار منه النار ، والمستعار له الشيب ، والجامع بين المستعار منه والمستعار له مشاقة ضوء النهار لبياض الشمس ، وفائدة ذلك وحكمته وصف ما هو أخفى بالنسبة إلى ما هو أظهر ، وأصل الكلام أن يقال : واشتعل شيب الرأس ، وإنما قلب للمبالغة ، لأنه يستفاد منه عموم الشيب لجميع الرأس . البرهان ٣ / ٤٣٥ ، ويبرز جلال هذا التعبير الإمام عبد القاهر فيقول : وهذه الوزعة التي تدعو على التفوق عند هذا الكلام ليس مجرد الاستعارة ، ولكن لأن سلك بالكلام طريق ما يسند الفعل فيه إلى الشيء وهو لما هو من سببه ، فوقع به ما يسند إليه ، ويؤتى بالذي الفعل له في المعنى منصوبا بعده ... فإن قلت : فما السبب في أن كان " اشتعل " إذا سعر للشيب على هذا الوجه كان له الفضل ؟ ولم بان بالمزية من الوجه الآخر هذه المزية ؟ فإن السبب أنه يفيد ، مع بيان الشيب في الرأس الذي هو أصل المعنى ، الشمول ، وأنه قد شاع فيه ، وأخذ من نواحيه ، وأنه قد استغرقه ، وعم جملته ، حتى لم يبق من السواد شيء ، أو لم يبق منه إلا ما لا يعتد به ، وهذا ما لا يكون إذا قيل " اشتعل شيب الرأس ، أو الشيب في الرأس " ، بل لا يوجب اللفظ جملة أكثر من ظهوره فيه على الجملة ، ووزان هذا أنك تقول " اشتعل البيت نارا " فيكون المعنى : أن النار قد وقعت فيه وقوع الشمول ، وأنها قد استولت عليه وأخذت في طرفيه ووسطه ، وتقول : " اشتعلت النار في البيت " فلا يفيد ذلك ، بل لا يقتضي أكثر من وقوعها فيه ، وإصابتها جانبا منه ، فأما الشمول ، وأن تكون قد استولت على البيت وتنزله ، فلا يعقل من اللفظ البتة . انظر : دلائل الإعجاز ص ١٠٠ ، ١٠١ .

(٢) سورة يس : ٣٧ ، والآية من قبيل الاستعارة البديعة في الفعل " نسلخ " ، ويقول عنها الزركشي : لأن السلاخ الشيء عن الشيء أن يبرأ منه ، ويزول عنه حالا فحالا ، كذلك الفصال الليل عن النهار ، والانسلاخ أبلغ من الانفصال لما فيه من زيادة البيان . البرهان ٣ / ٤٣٦ .

(٣) سورة الفجر : ١٣ ، ويشير ابن عطية إلى جمال استعارة السوط في الآية فيقول : " وإنما عبر (السوط) بأن يستعار للعذاب لأنه يقتضي من التكرار والتردد ما لا يقتضيه السيف ونحوه . انظر الوجيز ٥ / ٤٧٩ .

سكت عن موسى الغضب ﴾ [1] . ومن الاستعارات فى الأشعار العربية قول امرئ القيس [2] :

وَلَيلٍ كَموجِ البحرِ أرخى سُدولَهُ ∴ عَلَيَّ بِأنواعِ الهُمـــومِ لِيَبتلي

فَقُلتُ لَـهُ لَمـّا تَمَطّى بِصُـلبِهِ ∴ وَأردَفَ أعجازاً وَنَاءَ بِكَلكَلِ

وقول زهير [3] : وَغُرِّ كَأقراسِ الصفا وَرَوَاحِلٍ .

وقول لبيد [4] :

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٤ ، يقول الزركشى : المستعار السكوت ، والمستعار له الغضب ، والمستعار منه الساكت ، وهذه ألطف الاستعارات ، لأنها استعارة معقول لمعقول ، لمشاركته فى أمر معقول ، وغير خاف أن هذه من قبيل الاستعارة المكنية . ينظر : البرهان ٣ / ٤٤٢ .

(٢) وفى البيت الثانى استعارة بالكناية وتخيل فى ذلك الزمكانى : فانظر كيف جعل لليل صلبا قد تمطى به ، وثنى بذكر الإعجاز التى هى ردف الصلب ، وثلث بالكلكل الذى عليه يعتمد البعير إذا برك ، فاستدل بهذه جملة أركان البعير حتى خيل أنه على شكله ، ومراده تناهى الليل فى الطول . البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن للزمكانى - تحقيق د / خديجة الحديثى ، د / أحمد مطلوب ص ١٢٤ - مطبعة العانى - بغداد - ط أولى ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

(١) وأول البيت : صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله ∴ ، وفى البيت استعار تصريحية أصلية حيث استعار لفظ اسم الأفراس ولما يزيد حسن هذه الاستعارة أن يصف الأفراس والرواحل بأنها عربيت ، أى : خلت من كل ما من شأنه الهوى والفتور ، وقد أورد الإمام عبد القاهر هذا البيت فى أسرار البلاغة قائلا : لا تستطيع أن تثبت فوتا أو ضعة للدرات تناولها الأفراس والرواحل فى البيت ، على حد تناول الأسد الرجل الموصوف بالشجاعة ، والبدر الموصوف بالحسن أو البهاء ... وليس إلا أنك أردت أن تصف قد ترك وأهمل ، وفقد تراخ الناس إليه وتثاقل ، فصار كالأمر يصرف عنه فتعطل آلاته وتطرح أدواته . أسرار البلاغة ص ٤٨ .

(٤) وأول البيت : وغداة ريح قد كشفت وقرة ∴ ، أورد الإمام عبد القاهر هذا البيت عند حديثه عن تقسيم الاستعارة المفيدة ، وإما أن تكون اسما أو فعلا ، وأنها إذا كانت اسما فإنه يقع مستعارا على قسمين ، أحدهما : أن تنقله عن مسماه الأصلى إلى شئ آخر ثابت معلوم فتجريه عليه ، وتجعله متناولا له تناول الصفة تلا للموصوف ، وذلك قولك " رأيت أسدا " وأنت تعنى رجلا شجاعا ، والقسم الثانى : أن يؤخذ الاسم على حقيقته ، ويوضع موضعا لا يبين فيه شئ يشار إليه فيقال : هذا هو المراد بالاسم والذى استعير له ، وجعل بخلافه =

..... ∴ إذ أصحت يده الشمال زمامها [1]

استعارات فى مواضع متفرقة :

ومن الاستعارة فى فقه اللغة وسر العربية ما ذكره الثعالبى فى أن صيغة أفعل لا يراد بها التفضيل ، كقولهم : جرى له طائر أشأم ، وقال الفرزدق [2] :

..... ∴ بِمَا وَعَدَتْنَا أغَرُّ وَأطْوَلُ

وفى القرآن : ﴿ وَهُوَ أهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [3] [4] .

ونحت فصل " للعرب فعل لا يقوله غيرهم " أورد أمثلة لعدة استعارات دون إشارة إليها فيقول : " تقول - أى العرب - عاد فلان شيخا ، وهو لم يكن قط شيخا ، وعاد الماء آجنا ، وهو لم يكن كذلك ، قال الهذلى :

= لاسمه الأصلى وثالثا مثاله ومثل الإمام لذلك بهذا البيت ، وعلق عليه بقوله : وذلك بأن جعل للشمال يدا ، ومعلوم أنه ليس هناك مشار إليه يمكن أن تجرى اليد عليه كما جرى اليد ... ، وقد اجتمع فى البيت المجاز الإفرادى والإسنادى ، ألا ترى بدعى أن للشمال يدا ، وأن للسحاب زمانا ، وأن ريح الشمال تقوده وتشرفه ، وليس يوهم ليد أن هناك شيئا باليد حتى يكون لفظ اليد مستعارا له ، ولكنه تخيل ووهم فى وجوه ما استعير له ذلك ، وليس ثم شئ يصح أن يكون قد شبه بالزمام فأطلق عليه اسمه . انظر : أسرار البلاغة ص ٤٤ ، ٤٥ ، والبرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ص ١١٠ .

(١) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٩٤ .

(٢) فى قوله " بما وعدتنا " هذا استعارة للشرف ، لأنه يفتخر ، وهناك رواية أخرى " بنى لنا " وعليها فإن الفرزدق يقصد تشبيه المجد بالشئ الذى بنى على طريق الاستعارة المكنية ، وإثبات البناء له وهو أمر معنوى ، وذلك ليجعله أمرا محسا مشاهدا ، والمعروف أن هذا البيت من شواهد كون تعريف المسند إليه بالموصولية قريبا إلى التعريض بمقام المدح ، وقد دار الجدل بين البلاغيين حول هذا البيت ، والمقام هنا لا يقتضى التعرض له . ينظر شروح التلخيص ١ / ٣٠٩ ، والمسائل البلاغية فى كتاب الصاحبى ص ١١٢ ، وانظر : فقه اللغة وسر العربية ص ٢٨٨ .

(٣) سورة الروم : ٢٧ ، يقول ابن عطية ومعنى الآية وهو هين عليه ويطرد قول الشاعر وأنشده بقول الفرزدق السابق ... هذا وهناك من أرجع الضمير فى قوله تعالى " عليه " فى قوله " وهو أهون عليه " هناك من أرجعه إلى المخلوق ، بينما ذهب ابن عطية إلى ترجيح عوده إلى الله تعالى قائلا : وبؤيده قوله تعالى " وله المثل الأعلى " لأن هذه بلفظ فيه استعارة واستشهاد بالمخلوق على الخالق وتشبيه بما يعيده الناس من أنفسهم حتى جاب العلماء بأن جعل له المثل الأعلى الذى لا يتصل به تكييف ولا تماثل مع شئ . انظر : المحرر الوجيز ٤ / ٣٢٥

(٤) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٨٨ .

أطعت الغرض فى الشهوات حتى ... أعادتنى أسيفا عبد قيرى

وهو لم يكن قبل أسيفا حتى يعود إلى تلك الحال ، وفى كتاب الله : ﴿ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾ (١) (٢).

وتكلم التعالبى فى موضع آخر من فقهه اللغة عن " الاستعارة التهكمية " (٣) تحت " فصل فى المدح يراد به الذم فيجرى مجرى التهكم والهزل " ، إذ قال : العرب تفعل ذلك فتقول للرجل تستجهله : يا عاقل ، وللمرأة تستقبحها : يا قمر ، وفى القرآن : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ (٤).

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٧ ، يبدو أن التعالبى لم ينتبه إلى الاستعارة فى الآية ، دل على ذلك قوله معلقا على الآية : " وهم لم يكونوا فى نور من قبل " ، وقد أشار العلماء إلى الاستعارة فقال البيضاوى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ المراد هم من أراد إيمانه وثبت فى علمه أنه يؤمن ﴿ يُخْرِجُهُم ﴾ بهدايته ﴿ مِّنَ الظُّلُمَاتِ ﴾ من ظلمات الجهل والشبه المؤدية إلى الكفر ، إلى ﴿ النُّورِ ﴾ إلى الهدى الموصل إلى الإيمان ، ويوضح الشهاب ذلك قائلا : قوله من أراد إيمانه : لأن من آمن حقيقة فهو مخرج من الكفر ، وكذا الذين كفروا محمول على العزم والتصميم ، فلابد أن يحمل إيمانهم الذى خرجوا منه على الإيمان القطرى ، وكفرهم الذى هم عليه على الارتداد ، والظلمات على هذا الكفر ، والنور الإيمان ، وهناك وجه آخر : وهو أن يكون آمنوا وكفروا على ظاهره ، بأن يراد بالظلمات الشبه ، وبالنور اليقين والبينات ، وهما استعارتان على الوجهين ، هذا ما أورده الزمخشرى ، لكن البيضاوى خلط بين الوجهين . حاشية الشهاب ٢ / ٣٣٦ ، وينظر : الكشاف ١ / ٣٨٧ ، والمسائل البلاغية فى كتاب الصاحبى ص ١١٧ .

(٢) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٨٨ .

(٣) وهى ما استعمل فى ضد معناه أو نقيضه بتنزيل التضاد أو التناقض منزلة التناسب بواسطة أمكم أو تهلم . الإيضاح ٥ / ٦٤ ، والشروح ٤ / ٧٨ .

(٤) سورة الدخان : ٤٩ ، وتكمن تلك الاستعارة فى جعل هذا العذاب الحقير الذليل بغاية عزيز حكيم استهزاء وازدراء به ، فقد شبه الحقارة والذلة التى تحياها هذا العذاب بالعزة والحكمة على سبيل الاستعارة التهكمية .

وقال عز ذكره : ﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ (١) (٢).

كلام الثعالبى عن الاستعارة التبعية فى الحرف

وفى موضع آخر من الكتاب وفى فصل " تحمل فى الزوائد والصلات التى هى من سنن العرب ، الورى التعالبى يتحدث عن بعض الحروف وزيادتها ، فعند حديثه عن " اللام " تحدث عن " لام العاقبة " وقال : كما قال الله تعالى : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ (٣).

وهم لم يلتقطوه لذلك ، ولكن صارت العاقبة إليه (٤).

---

(١) سورة هود : ٨٧ ، يقول أبو الليث فى تفسير هذه الآية يعنى : السفه الضال استهزاء منهم ، هذا وقد جوز بعض العلماء أن يكون هذا الوصف منهم على سبيل الحقيقة بناء على زعمهم ، وتكون الجملة فى موضع التعليل لما سبق من استبعاد ما ذكروه كأنهم قالوا : كيف نكلفنا يا تكلفنا مع أنك أنت الحليم الرشيد بزعمك ، ولكن سياق الآيات يرجح أن المقصود هو الاستهزاء والسخرية ، وهذا ما قال به كثير من المفسرين . ينظر : بحر العلوم ٢ / ١٣٩ ، وروح المعانى ٧ / ١٧٧ ، والكشاف ٢ / ٣٢٧ ، وفى ظلال القرآن ٤ / ١٩١٩ .

(٢) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٤١ .

(٣) سورة القصص : ٨ ، الحروف تدل على معان غير مستقلة بالفهم وهذه المعانى تتضح بواسطة التعرض على متعلق الحرف ومعناه العام ، ويرتبط هذا الحرف بذلك المعنى العام ارتباط الجزء بالكل ، وفى ذلك تذكير بما هو عليه الحال بين الفعل والمصدر . فالفعل تابع لمصدره ، والحرف هنا تابع لمعناه الكلى بحيث يقع التشبيه بين الكليات ثم يسرى إلى الجزئيات فتقع الاستعارة بين الحروف ، وهذا الرأى هو رأى الجمهور البلاغيين ، ويعزى إلى صاحب المفتاح حيث يقول : " متعلقات معانى الحروف ما يعبر بها عند تفسيرها مثل قولنا : " من " لابتداء الغاية ، و " إلى " انتهاء الغاية ، ويقول : " والفصل للاستعارة فى الأفعال والصفات المشتقة منها ومصادرها ، وفى الحروف : متعلقات معانيها فتقع الاستعارة هناك ثم تسرى فيها " ، وفى موضع آخر يقول : وإذا أردت استعارة " لعل " لغير معناها ، فقدرت الاستعارة فى معنى الوجه ثم استعملت هناك " لعل " ، ويقول " وإذا أردت استعارة لام الغرض قدرت الاستعارة فى معنى الغرض ثم استعملت لام الغرض هناك . انظر : المفتاح ص ٢٨٠ ، ٢٨٩ ، وعلى ما سبق فالمعنى هو المعنى الكلى الذى استلزمه معنى الحرف ، فهى الآية التى معنا نقول عنى هنا تراخى شبه ترتب العداوة والحزن على الالتقاط بترتب العلة الغائية كائنة والتى على الإيمان تقع مطلق ترتب شئ على شئ ، فسرى التشبيه من الكلى إلى الجزئى بين الشبه والمشبه به فاستعيرت اللام الموضوعة لترتب العلة الغائية الجزئى لترتب العداوة والحزن الجزئى ، وبها تكون الاستعارة فى اللام تابعة لمتعلق معناها . يرجع ذلك فى السعد والبيان عليه فى الجزء ص ٢٣٥ وما بعدها ، وانظر : دراسات وتطبيقات فى علم البيان ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(٤) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٦٠ .

وفى موضع آخر من فقه اللغة يعرض الثعالبى شاهدا للاستعارة التبعية فى الحرف ، وذلك عند حديثه عن الحرف " فى " حيث قال : و" فى " بمعنى " على " كقوله تعالى : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ [١] ؛ لأن الجذع للمصلوب بمنزلة القبر للمقبور ،

وينشد [٢] :

هُم صَلَبُوا العَبديَّ فِي جَذعِ نَخلَةٍ ∴ فَلا عَطَسَت شَيبانُ إلاّ بِأجدَعا

كلام الثعالبى عن الكناية [٣] :

أشار الثعالبى فى فقه اللغة وسر العربية إلى الكناية فى مواضع متفرقة من كتابه ، فتارة يورد أمثلة لها ويضعها تحت عنوان خاص بها فيقول فصل فى الكناية عن كذا ، وتارة يوردها تحت " فصل فى إقامة وصف الشئ مقام اسمه ،

---

(١) سورة طه : ٧١ ، وابن عطية يشير إلى الاستعارة فى الآية إذ قال : إن فى قوله تعالى ﴿ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ : اتساع من حيث هو مربوط فى الجذع وليست على حد قولك ركبت على الفرس ، فقد استعمل الحرف " فى "مكان " على" للدلالة على التمكن ، واستعارة هذا الحرف تابعة لتعلق معناه حيث شبه الاستعلاء المطلق بالظرفية المطلقة بجامع التمكن فى كل ، واستعير لفظ الظرفية للاستعلاء المطلق (استعير كلى لكلى) فسرى التشبيه من الكلى للجزئى ، فاستعير لفظ " فى " الموضوع لكل جزئى من جزئيات الظرفية الخاصة للاستعلاء الخاص والظرفية " لأصلبنكم " . انظر : انظر الوجيز ٤ / ٥٣ ، ويراجع : السعد و البيان عليه فى التجريد ص ٢٣٥ وما بعده ، ودراسات وتطبيقات فى علم البيان ص ٢٥٠ .

(٢) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٦٨ .

(٣) للكناية فوائد جليلة ذكرها العلماء منها تنبيت المعنى وتأكيده ، وذلك لأن إثبات الصفة بإثبات دليلها ، وإنجادها بما هو شاهد فى وجودها آكد وأبلغ فى الدعوى من أن تجئ إليها فتثبتها هكذا سافرا فقلا ، وذلك أنك لا تدعى شاهد الصفة ودليلها إلا وهى أمر ظاهر معروف بحيث لا يشك فيه ولا يظن بغير العجوز والقط . انظر : دلائل الإعجاز ص ٧٢ ، كما أن من فوائدها التنبيه على عظم القدرة وترك اللفظ إلى ما هو أفخم أن يكون التصريح مما يستفتح ذكره ، وقصد الإخبار ، والتنبيه على المتبر ، وفطنة المخاطب ، وتحسين اللفظ ، وقصد البلاغة ... إلخ . انظر : البرهان ٢ / ٣٠٠ ، والإتقان ٣ / ١٥٩ .

فيقول تحت العنوان السابق كما قال الله عز وجل : ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴾ [١] يعنى : السفينة ، فوضع صفتها موضع تسميتها ، وقال تعالى : ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴾ [٢] ، يعنى : الخيل .

وقال بعض المتقدمين :

سألت قتيبة عن أبيها صحبه ∴ فى الروع : هل ركب الأغر الأشقر؟

يعنى : هل قتل ؟ والأغر الأشقر : وصف الدم ، فأقامه مقام اسمه .

وقال بعض المحدثين :

شمت برق الوزير فاهل حتى ∴ لم أجد مهربا إلى الإعدام

وكأنى - وقد تقاصر باعى - ∴ خائضٌ فى عباب أخضر طامى

يعنى : البحر ، وقال الحجاج لابن القعثرى : لأحملنك على الأدهم !. يعنى : القيد ، فتجاهل عليه ، وقال : مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب [٣] [٤] .

---

(١) سورة القمر : ١٣ ، ممن أشار إلى الكناية فى الآية دون نص عليها السرقندى حيث قال " وهو يعنى : سفينة نبيت بالمسامير . انظر : بحر العلوم ١ / ٤٠٦ ، وأشار إلى الكناية أيضا ابن عطية . انظر : ٥ / ٢١٤ ، وهى كناية عن موصوف .

(٢) سورة ص : ٣١ ، وإلى ذلك أشار ابن عطية . انظر : المحرر الوجيز ٤ / ٥٠٣ .

(٣) لقد ساق هذا المثال الإمام عبد القاهر فى حديثه عن تقديم " مثل " و " نحو " فقال : " وقولك الذى قال له الحجاج : " لأحملنك على الأدهم " ، يريد : القيد ، فقال على سبيل المغالطة : " ومثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب - أى من الخيل - وما أشبه ذلك " لم يقصد فيه إلى " مثل " إلى إنسان سوى الذى أضيف إليه ، ولكنهم يعمدون أن كل من كان بحاله فى الحال والصفة كان من مقتضى القياس وموجب الحقائق والعادة أن يفعل ما ذكر ، ولذا يفعل ... إذا فمن الوضوح بمكان من الأسلوب أن الشاعر أراد أن يكنى عن شخص آخر بمثال الأمير ، وإنما أراد إثبات الحكم لما أضيف إليه " مثل " بطريق الكناية . انظر : دلائل الإعجاز ص ١٣٨ ، ١٣٩ . ونظرات فى البلاغة والأسلوب - د / محمد عبد الرحمن الشوبكى ص ١٤٩ - ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

(٤) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٧٢ .

وفى موضع آخر يقول تحت " فصل فى الكناية عما يستقبح ذكره بما يستحسن من لفظه ، هى من سنن العرب ، وفى القرآن : ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ ﴾ [1] ، أى : لفروجهم ، وقال تعالى : ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ ﴾ [2] فكنى عن الحدث ، وقال عز اسمه : ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ [3] ، وقال عز وجل : ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا ﴾ [4] ، فكنى عن الجماع ، والله كريم يكنى ، وقال النبى ﷺ لقائد الإبل التى عليها نساؤه : " رفقا بالقوارير " فكنى عن الخَرَم ، وقال ﷺ : " انقوا الملاعن " أى : لا تحدثوا فى الشوارع فتلعنوا .

---

(١) سورة فصلت : ٢١ ، قال السمرقندى : الجلود كناية عن الفروج ، وكذلك فى الزهراوين ، أما الزمخشرى فقال : أن المراد بالجلود نفسها ، وقيل : الجوارح ، وقيل كناية عن الفروج . انظر : بحر العلوم ٣ / ١٨١ ، والزهراوين ٢ / ٣٥ ، والكشاف ٣ / ٤٥٠ .

(٢) سورة النساء : ٤٣ ، جل العلماء أشاروا إلى أن الآية كناية عن قضاء الحاجة . ينظر : بحر العلوم ١ / ٣٥٢ ، والمحرر الوجيز ٢ / ٥٨ ، والبرهان ٢ / ٣٠٤ ، والملفت فى الآية أن القرآن الكريم قال : ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ ﴾ ، والذى يتسق مع نسق الآية أن يقول : أو جشم من الغائط ، والسر فى هذا كما قيل " أن التعبير القرآنى جاء على هذا النسق ، وذلك إخفاء وستراً وتكنيا لهذا الذى جاء من الغائط بعد أن كان عربانا ، يباشر عملا يجب أن يستره ، ولا يطلع أحد عليه ثم هو من وجهة أخرى احترام لحياء المخاطبين ، حتى لكأنهم لا يفعلون " . انظر : التفسير القرآنى للقرآن / عبد الكريم الخطيب ٥ / ٨٠٣ - ط دار الفكر (ثانية) .

(٣) سورة البقرة : ٢٢٣ ، قال السمرقندى : الحرث فى اللغة هو الزرع فسمى النساء حرثا على وجه الكناية ، أى هن للولد كالأرض للزراعة . بحر العلوم ١ / ٢٠٥ ، ومن العلماء من جعل الآية من قبيل التشبيه البليغ للطيف . المحرر الوجيز ١ / ٢٩٩ ، وروح المعانى ٢ / ١٨٧ ، ١٨٨ ، والتحرير والتنوير ٢ / ٣٧١ ، وقيل هى : كناية بالحرث عن الجماع . ينظر : معترك الأقران ١ / ٢١٧ .

(٤) سورة الأعراف : ١٨٩ ، قال ابن عطية : كناية عن الجماع . انظر : المحرر الوجيز ٢ / ٤٨٦ .

ومن كنايات البلغاء : به حاجة لا يقضيها غيره ، كناية عن الحدث . وذكر ابن العميد محتشما حلف بالطلاق فقال : آلى بما ذكر فيها حواسره ، وذكر ابن مكرم سائلا فقال : هو من قراء سورة يوسف ، يعنى : أن السؤال يستكثرون من قراءة هذه السورة فى الأسواق والمجامع والجوامع ..... ومن كناياتهم عن موت الرؤساء والأجلة والملوك : انتقل إلى جوار به ، استأثر الله به [1] .

وفى موضع آخر من فقه اللغة وسر العربية يذكر الثعالبى أمثلة وشواهد للكناية ، ولكنه لم يشر إلى كونها كناية بل وضعها تحت فصل فى نفى الشئ جملة من أجل عدم كمال صفته إذ يقول : العرب تفعل ذلك ، كما قال الله - عز وجل - فى صفة أهل النار : ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ [2] ، فنفى عنه الموت ؛ لأنه ليس بموت صريح ، ونفى عنه الحياة لأنها ليست حياة طيبة ولا نافعة ، وهذا كثير فى كلام العرب ، قال أبو النجم :

يلقين بالجناء والأجارع ∴ كل جهيش لين الأكارع

ليس بمحفوظ ولا بضائع

يعنى : أنه ليس بمحفوظ ؛ لأنه ألقى فى صحراء ، ولا بضائع ؛ لأنه موجود فى ذلك المكان ، ومن ذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [3] ، أى : ما هم بسكارى من شرب ، ولكن سكارى من فزع ورؤيته ! [4] .

---

(١) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

(٢) سورة الأعلى : ١٣ ، وما ذكره الثعالبى هو ما جاء فى الكشاف ٤ / ٢٤٤ ، والمحرر الوجيز ٥ / ٤٧٠ .

(٣) سورة الحج : ٢ ، وهذا المعنى أورده ابن عطية ولكن أطلق عليه تشبيها . انظر : المحرر الوجيز ٤ / ١٠٦ .

(٤) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

كما تناول في " فصل يشتمل على نفي في ضمنه إثبات " أمثلة للكناية دون نص عليها ، إذ قال : تقول العرب : ليس بحلو ولا حامض ، يريدون : أنه جمع بين ذا وذا ، كما قال الشاعر :

أو فضاضة لا رسم ولا طلل ∴ مثل العمامة لا طمر ولا جمل

وقال آخر :

وأنت مسح كلحم الحوار ∴ فلا أنت حلو ولا أنت مر

وفي القرآن : ﴿ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ [1] ، يعني : أن الزيتونة شرقية وغربية .

وفي أمثال العامة : " فلان كالخنثى لا ذكر ولا أنثى " ، يريد أنه يجمع صفات الذكران والإناث معا [2] .

---

(١) سورة النور : ٣٥ ، وهذا أحد المعاني عند الزمخشري ، وكذا عند ابن عطية ، انظر : الكشاف ٣ / ٢٩٧ ، والمحرر الوجيز ٤ / ١٨٥ .

(٢) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٤٥ .

الفصل الثالث

ما ورد في " فقه اللغة وسر العربية " من مسائل البديع

المتصفح لفقه اللغة وسر العربية يلحظ أن ما ذكره الثعالبي من مسائل علم البديع في كتابه جاء متناثرا هنا وهناك ، فقد أشار إلى محسنات بديعية منها ما هو لفظي ومنها ما هو معنوي ، وقد أورد لكلا النوعين شواهد من القرآن الكريم وغيره ، فمن المعنوي الطباق ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه والتجريد والتقسيم ، ومن اللفظي الجناس ، ومراعاة الفواصل ، ثم حديث له عن السرقات الشعرية .

١ - البديع المعنوي في فقه اللغة وسر العربية :

أولا : الطباق [1] :

ذكر الثعالبي هذا اللون البديعي المعنوي تحت فصل أسماه باسمه فقال : " فصل في الطباق " وعرفه بقوله : هو الجمع بين ضدين ، وشرع يورد الشواهد عليه ، فقال : كما قال الله تعالى :﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا

---

(١) عرف الخطيب الطباق بأنه : الجمع بين المتضادين ، أي معنيين متقابلين في الجملة ، ويكونان اسمين أو فعلين أو حرفين أو مختلفين ، فالأول كالمتضادين من نوع واحد اسمين ، كقوله تعالى : ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ سورة الكهف : ١٨ ، أو فعلين كقوله تعالى : ﴿ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ﴾ سورة آل عمران : ٢٦ ، أو حرفين كقوله تعالى : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ سورة البقرة ٢٨٦ ، وأما بالمختلفين من نوعين كقوله تعالى : ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ سورة الأنعام : ١٢٢ ، وانظر : الإيضاح ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

كَثِيرًا ﴾ [١] ، وكما قال عز وجل : ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ [٢] ، وكما قال عز وجل : ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ [٣] ، وكما قال عز من قائل : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ [٤] ، ومما جاء في الخبر عن سيد

---

(١) سورة التوبة : ٨٢ ، الآية عند التعالبي من الطباق ، وهي من المقابلة وقد أوردها الخطيب إذ عرف المقابلة أولا بأنه يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلهما أو يقابلها على ترتيب ، ثم مثل بتلك الآية السابقة . انظر : الإيضاح ص ١٩٥ .

(٢) سورة الحشر : ١٤ ، والآية من الطباق حيث طابق بين الجمع في قوله تعالى " جميعا " والشتات والتفرق في قوله " شتى " .

(٣) سورة الكهف : ١٨ ، الآية من الطباق وهو هنا بين الإيقاظ والرقود .

(٤) سورة البقرة : ١٧٩ ، وهذا من الطباق على جعل " القصاص " كناية الموت بالقتل فيقابل الموت بالحياة فيكونا ضدين ، وجدير بالذكر أن هذه الآية شاهد على النكير لكلمة " حياة " في دلائل الإعجاز حيث يقول الإمام عبد القاهر : " ... ذلك أن السبب في حسن النكير وأن لم يحسن التعريف ، أن ليس المعنى على الحياة نفسها ، ولكن على أنه ما كان الإنسان إذا علم أنه إذا قتل قُتل ، ارتدع بذلك عن القتل ، فسلم صاحبه ، صار حياة هذا للمعنى يقتضي أن مستأنف توقت ، مستفادة بالقصاص وصار كأنه حيّ في باقي عمره به ، وإذا كان المعنى على حياة في بعض أوقاته ، وجب النكير وامتنع التعريف ، من حيث كان التعريف يقتضي أن تكون حياة قد كانت بالقصاص من أصلها ، وأن يكون القصاص قد كان سببا في تحرك كائنة الأرقات ، وذلك خلاف المعنى وغير ما هو المقصود . دلائل الإعجاز ص ٢٨٩ ، ٤٢٨ ، ٤٤٧ ، ولا يخفى - أيضا - أن لآية شاهد على إيجاز القصر ، الذي يكون بتضمين العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف كتلك الآية التي معنا ، فإن معناها كثير والفاظها يسيرة إذ المراد : أن الإنسان إذا علم أنه متى قتل قُتل ، امتنع عن القتل ، وفي ذلك حياته وحياة غيره ؛ لأن " القتل أنفى للقتل " ، وبذلك تطول الأعمار ، وتكثر الذرية ، ويقتل كل واحد على ما يجود عليه بالطبع ، ويتم النظام ويكثر العمران ... وقد قرون بين هذه الآية وبين ما أثر عن العرب في هذا المقام حيث قالوا : " القتل أنفى للقتل " ، وشتى أين هذا مثل من هذه الآية الشريفة التي قصارى عنه بوجوه : منها أن كلمتان ، وما مثل عندهم أربع ، ومنها أنه لا تكرار فيها وفيما قالوه تكرار ، ومنها أنه ليس كل قتل يكون نافيا للقتل ، وإنما يكون كذلك إذا كان على جهة القصاص ، ومنها حسن التأليف وشدة التلازم المدركان بالحس في الآية الكريمة التي بلغت حد الإعجاز ، لا فيما قالوه في مثلهم الذي لا يزيد على متعارف الأوساط . انظر : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع - للسيد / أحمد الهاشمي - تدقيق / حسن حمد ص ١٨٣ ، ١٨٤ - مكتبة الآداب ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .

البشر ﷺ : " حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات " [١] ، و " الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا " [٢] ، و " كفى بالسلامة داء " [٣] ، و " جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، وبغض من أساء إليها " [٤] ، و " احذروا من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره " [٥] ، ومما جاء في الشعر قول الأعشى [٦] :

كيعونَ في المشتى ملاءً بطونكم ∴ وجارُكم غرثى يبيتُ خمائصا

وقول عبد بني الحسحاس [٧] :

إن كنتُ عبداً ففي حُرَّةٌ كرَمًا ∴ أو أسودَ الخلقِ إني أبيضُ الخُلُقِ

وقول الفرزدق :

---

(١) في الحديث مقابلة حيث قابل بين الدين والتين فهناك الجنة وهنا النار ، وهناك المكاره وهنا الشهوات ، فهذه مقابلة وليس طباقا .

(٢) في الحديث طباق بين الغفلة - التي عبر عنها بالنوم عن طريق الاستعارة التصريحية الأصلية - والانتباه ، وقد تآزرت الاستعارة مع الطباق في تأكيد مراد النبي ﷺ .

(٣) في الحديث طباق بين الصحة - التي عبر عنها بالسلامة عن طريق الاستعارة التصريحية الأصلية - وبين الداء .

(٤) في الحديث مقابلة بين " حب من أحسن " و " بغض من أساء " .

(٥) في الحديث مقابلة بين " لا يرجى خيره " و " لا يؤمن شره " .

(٦) في البيت طباق بين الشبع ، الذي كنى عنه بقوله " ملاء بطونكم " وبين " غرثى " ويقصد به الجوع " فإنه يقال للشبعان غرثان ، وللمرأة " غرثى " .

(٧) في الشطر الأول من البيت طباق بين قوله " عبدا " وقوله " ففي حرة " أي بين العبودية وضدها ، أما الشطر الثاني من البيت فقد احتوى على مقابلة ، حيث قابل بين " أسود الخلق " ، في الشطر وبين " أبيض الخُلُق " ، ولا يخفى أن هنا جناسا محرفا بين " الخلق والخُلُق " وبخاص الفرق هو : أن تختلف الكلمتان في هيأت الحروف دون أنواعها وأعدادها وترتيبها ، كما يكون الاختلاف في الحركة كالفَرْد والفَرَد في قولهم " جاءَ فردٌ ، جاءَ فَرَدٌ " . انظر : الإيضاح للخطيب القزويني ص ٢١٨ ، وبغية الإيضاح ٤ / ٩٨ ، ٩٩ .

وَالشَّيْبُ بَيْضٌ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ ∴ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَارُ [1]

ثانيا: تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه [2] :

وذكر التعالى هذا اللون البديعي مشتملا على الضربين ممثلا لهما ، وقد أوردهما تحت " فصل فى إخراج الشئ المحمود بلفظ يوهم ضد ذلك كما يقال : فلان كريم غير أنه شريف ، ولئيم غير أنه محسن [3] وكما قال النابغة الذبياني [4] :

---

(١) فى الشطر الأول من البيت طباق بين " الشيب " و " الشباب " أما الشطر الثانى فقد طابق بين " ليل " و" نهار " وتجدر الإشارة إلى أن الإمام عبد القاهر أورد هذا البيت تحت تشبيه شيئين بشيئين ، فقال : " وهذا تمر به ولطف مأخذه ودقة نظر واضعه ، وحلى لك عن شأو قد تحسر دونه العالى ، وغاية يعى من قبلها الداكى القرح ... وذكر هذا البيت من ضمن ما ذكره من أبيات . انظر : دلائل الإعجاز ص ٩٥ ، وأسرار البلاغة ص ١٩٨ ، ١٩٩ .

(٢) وهو ضربان وقد وضع البلاغيون تعريفا لكل ضرب منه على حدة ، وقالوا : أن أفضل الضربين أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشئ صفة مدح بتقدير دخولها فيها ، ومثالة بيت النابغة الذبياني ، أما بيت النابغة الجعدى فيرى هنا مثال للضرب الثانى : وهو أن يثبت للشئ صفة مدح ويعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى . انظر : الإيضاح ص ٢١١ ، وشروح التلخيص ٤ / ٣٨٦ . وتجدر الإشارة إلى أن ابن أبى الأصبع ذكر أنه فى غاية الندرة فى القرآن الكريم ، وذكر له مثالا واحدا ، لكن استدرك عليه السيوطى ثلاثة أمثلة أخرى . انظر : الإتقان ٣ / ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، والمسائل البلاغية فى كتاب الصاحبى ص ١٢٤ .

(٣) هذا المثال الذى مثاله التعالى شاهدا على أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم ، يدخل فى قسم تأكيد الذم بما يشبه المدح ، وهو الضرب الذى إذا أثبت للشئ صفة ذم وأعقب بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى ، وقد مثل له الخطيب القزوينى بقوله : فلان فاسق إلا أنه جاهل . انظر : الإيضاح ص ٢١٢ ، وهذا ما ينطبق على ما مثل به التعالى " فلان لئيم غير أنه حسيبى " . انظر : فقه اللغة وسر العربية ص ٢٨٢ .

(٤) فى البيت تأكيد للمدح بما يشبه الذم من النوع الأول ، يقول الخطيب شارحا البيت : أى إن كان قول السفيه من نوع الكذاب من قبيل العيب ، فأنت شيئا من العيب على تقدير : أن قول السفيه منه وذلك محال فهو فى المعنى تعليق بالمحال ، كقولهم حتى يبيض القار ، فالتأكيد فيه من وجهين ، أحدهما : أنه كصورى الشئ بنفسه ، والثانى : أن الأصل فى الاستثناء أن يكون متصلا فإذا اتصل المتكلم بـ " إلا " أو غيرها توهم السامع قبل أن ينطق بما بعدها أن ما يأتى بعدها خارج مما قبله ليكونه هى من صفة الذم ذات وهذا ذم ، فإذا أتى بعدها صفة مدح تأكد المدح لكونه مدحا على مدح ، وقد تأكد فيه نوع من الخلابة . انظر الإيضاح ص ٢١١ .

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ∴ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

وكما قال النابغة الجعدى [1] :

فَتًى كَمُلَتْ أَخْلَاقُهُ غَيْرَ أَنَّهُ ∴ جَوَادٌ فَمَا يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا

وقال بعض البلغاء : فلان لا عيب فيه غير أن لا عيب فيه يسرة عين الكمال عن معايبه [2] .

ثالثا : التجريد [3] :

كما تكلم التعالى عن التجريد ومثل لصورة منه ، وذلك عند حديثه عن معانى حرف " الباء " حيث قال : " ومنها " الباء " الداخلة على نفس المخبر ، والظاهر أنها للغيره : رأيت بفلان رجلا جلدا ، ولقيت بزيد كريما لوهم أنك لقيت بزيد كريما آخر غير زيد ، وليس كذلك ، وإنما أردت نفسه ، كما قال الشاعر :

إذا تأملته مقبلا ∴ رأيت منه جمرة مشتعلة

وفى القرآن : ﴿ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾ [4] [5] .

---

(١) فى البيت تأكيد للمدح بما يشبه الذم من النوع الثانى . انظر : الإيضاح ص ٢١١ .

(٢) وهذا القول أيضا من تأكيد المدح بما يشبه الذم من النوع الأول . انظر : فقه اللغة وسر العربية ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

(٣) عرفه الخطيب : بأن ينتزع من أمر ذى صفة أمرا آخر مثله فى تلك الصفة مبالغا فى كمالها فيه ... وقد امتدح العلوى لونا خاصا من التجريد وهو أن تأتى بكلام يكون ظاهره عتابا لغيره ، وأنت تريده عتابا لنفسك ، وقال إن هذا ومما شاكله من أحسن ما وجد فى التجريد . انظر : الإيضاح ص ٢٠٦ ، والمطول ص ٤٣٢ ، والطراز ٢ / ٧٣ ، والمسائل البلاغية فى كتاب الصاحبى ص ١٢٥ .

(٤) سورة الفرقان : ٥٩ .

(٥) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

رابعا : التقسيم [1] :

والحق أن التعالبي لم ينص صراحة على هذا اللون البديعي ، إلا أنه بدت منه إشارة خاطفة يمكن حملها على هذا اللون ، وذلك من خلال ما أورده تحت " فصل فى تفضيل ضروب الرمى " إذ قال : " ولما ورد قتيبة بن مسلم خراسان قال لأهليها : من كان فى يده شئ من مال عبد الله بن حازم فليبذله ، فإن كان فى فيه فليلفظه ، فإن كان فى صدره فليلفظه ، فتعجب الناس من حسن ما فصل وقسم " [2] .

٢ - البديع اللفظى فى فقه اللغة وسر العربية :

أولا : الجناس [3] :

ذكر التعالبي الجناس ومثل لأكثر من نوع منه ، وقد نص على ذلك من خلال " فصل فى التجنيس " وهو : أن يجانس اللفظ فى الكلام والمعنى مختلف ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [4] ، وكقوله ،

---

(١) عرفه الخطيب بقوله : " هو ذكر متعدد ، ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين ، ولعل هذا الشاهد الذى مما يدخل تحت ما أسماه الخطيب - وهو نوع من أنواع التقسيم - استيفاء أقسام الشئ بالذكر ، حيث لم يبق شيء لم يذكره ، حيث إن المال : إما أن يكون فى اليد ، أو الفم ، أو الصدر - من ناحية التعلق به - وهكذا لم يبق شيئا لم يذكره ، ولعل هذا القول آت على غرار قول الحق جل وعلا : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ سورة فاطر :٣٢ ، وانظر : الإيضاح ص ٢٠٣ ، ٢٠٥ .

(٢) فقه اللغة وسر العربية ص ١٤٨ .

(٣) وعرف الخطيب الجناس حيث قال : الجناس بين اللفظين هو تشابههما فى اللفظ ، وعن فائدته تكلم الإمام عبد القاهر فقال : " أما التجنيس فإنك لا تستحسن تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعا جيدا ، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا . انظر : الإيضاح ص ٢١٦ ، وأسرار البلاغة ص ٧ .

(٤) سورة النمل : ٤٤ .

﴿ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ [1] [2] ، وكقوله تعالى : ﴿ فَأُذُنِي دَأْوَةً ﴾ [3] ، وكقوله عز وجل : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ﴾ [4] ، وكقوله تعالى : ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ [5] ، وكقوله تعالى : ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ [6] ، وكقوله تعالى : ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ [7] ، وكما جاء فى الخبر : " الظلم ظلمات يوم القيامة " [8] ، و " آمن من آمن بالله .. " [9] [10] .

وفى موضع آخر من الكتاب يشير التعالبي إلى الجناس إشارة قوية دون نص عليه ، من ذلك قوله تحت " فصل فى ذكر الجموح " : فرس جموح له معنيان : أحدهما عيب ، وهو إذا كان يركب رأسه لا يثنيه شئ فيهذا من الجماح الذى يُرَدُّ منه بالعيب ، والجموح الثانى : النشيط السريع ، وهو ممدوح [11] .

---

(١) سورة يوسف : ٨٤ .

(٢) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٩٤ .

(٣) سورة يوسف : ١٩ .

(٤) سورة الروم : ٤٣ ، وهذه الآية - كما ذكر الخطيب - مما ألحق بالجناس ، حيث ألحق به شيئان أحدهما : أن يجمع اللفظين الاشتقاق ، وهو أخذ لفظ من آخر مناسبة بينهما فى المعنى ، وإن لم يكن من الجناس لوجوب اختلاف المعنى فيه ، والآية ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ﴾ من هذا القبيل . انظر : الإيضاح ص ٢٢٠ ، وبغية الإيضاح ٤ / ٧٣ .

(٥) سورة النور : ٣٧ .

(٦) سورة الواقعة : ٨٩ ، والآية من النوع الأول مما ألحق بالجناس .

(٧) سورة الرحمن : ٥٤ ، والآية مما ألحق بالجناس من النوع الثانى وهو أن يجمع اللفظين المشتقة ، وهى ما يشبه الاشتقاق وليس به ، لاختلاف أصل اللفظين فيما يشبه الاشتقاق ، وقد جعل بعضهم ما يشبه الاشتقاق من الجناس ، ولا يجعله ملحقا به . انظر : الإيضاح ص ٢٢٠ ، وبغية الإيضاح ٤ / ٧٣ .

(٨) الحديث الشريف من النوع الأول مما ألحق بالجناس .

(٩) الحديث الشريف من الجناس المحرف بين " آمن " بالمد ، و " آمن " بالله ، حيث اختلف شكلهما فى هيآت الحروف دون أنواعها وأعدادها وترتيبها .

(١٠) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٩٥ .

(١١) فقه اللغة وسر العربية ص ١٢١ .

ثانيا : ما يتعلق بالفواصل القرآنية [1] :

ذكر الثعالبى فى فقه اللغة وسر العربية أمورا تتعلق بالفواصل القرآنية كالزيادة للتوازن ، وإلحاق هاء السكت لمناسبة الفواصل .

فمما أورده فى ذلك زيادة الألف لأجل الفاصلة ، وقد جاء ذلك تحت " فصل فى حفظ التوازن " إذ قال : " العرب تزيد وتحذف حفظا للتوازن وإيثارا له ، أما الزيادة فكما قال تعالى : ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ [2] ، وكما قال تعالى : ﴿ فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾ [3] [4] .

---

(١) الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع أو هى حروف متشابكة فى المقاطع توجب حسن إفهام المعانى ، وإنما حسنت كذلك لأن الكلامين يفصلان عندها ، وذلك لأن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها . انظر : البرهان ١ / ٥٣ ، والإتقان ٢ / ٩٤٠ ، والكشف فى إعجاز القرآن ص ٩٧ ، هذا والفواصل تؤديها فى إفهام المعانى ، وذلك لأن " لانسياب النغم الموسيقى فى الآيات وتدفقه مع المعانى قوة وليا منهم للأثر القوى الذى يحدثه القرآن فى نفوس السامعين عن طريق الحس السمعى . أثر القرآن فى تطور النقد الأدبى د / محمد زغلول سلام ص ٢٤٣ - دار المعارف - ط الثانية .

(٢) سورة الأحزاب : ١٠ ، قال ابن عطية قرئ " الظنونا " بالألف فى الوصل والوقف ، وذلك اتباع خط المصحف ، وهذه تعديل رؤوس الآى . انظر : المحرر الوجيز ٤ / ٣٧٣ ، وكتاب السبعة فى القراءات ص ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ويشير الدكتور / أبو موسى إلى أن زيادة الألف فى " الظنونا " توقف عليها لزوم ذلك الوقف الوقف " فكان الوقف يكاد ينفجر لولا هذا الانطلاق وهذا الامتداد فى تلك الألف التى أوقعت من توتر الآيات قدرا استوى به لسق الأسلوب ، كما أن هذه الألف تؤدى دورا آخر فى العبرة ، فهى تؤدى بإطلاق الصدى للحيال الخرع والخواطر المنثرة حين زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر . انظر : خصائص التراكيب ص ٢٨٩ ، ومن أسرار التعبير القرآنى - دراسة تحليلية لسورة الأحزاب - د / محمد أبو موسى ص ٥١ - دار الفكر العربى .

(٣) سورة الأحزاب : ٦٧

(٤) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٣٩

إلحاق هاء السكت لمناسبة الفواصل :

ومما يتصل بالفواصل القرآنية فى فقه اللغة وسر العربية ما ذكره الثعالبى عن هاء السكت ، أى إلحاق هاء السكت هذه فى فواصل الآى لأجل المناسبة بين الفواصل وتناسقها ، وقد ذكر الثعالبى ذلك تحت حديثه عن الهاءات فقال : " فصل فى الهاءات " هاء الاسترخاء ، كما قال تعالى : ﴿ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾ [1] [2] .

كلام الثعالبى عن السرقات الشعرية [3] :

---

(١) سورة الحاقة ٢٨ ، ٢٩ ، وقال ابن عطية : قرأ بعض القراء " ماليه " و " سلطانيه " بالهاء فى الوصل والوقف اتباعا لخط المصحف ، وهى فى الوصل بينة الوقوف ، لأنها هاء السكت ، فلا معنى لها فى الوصل . انظر : المحرر الوجيز ٥ / ٣٦٠ . وقد أشار الداعى إلى نكتة بلاغية حيث قال : " وهاؤه - فى ماليه و سلطانيه - للسكت كأنها إشارة إلى شدة الكرب فى ذلك اليوم ، للدلالة على أنه إذا كان هذا السعيد يسكت فى كل جملة للاستراحة ، لا يقدر فى الكلام على القص فما الظن بغيره . انظر : نظم الدرر للبقاعى ٢٠ / ٣٦١ .

(٢) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٦٩ .

(٣) والحق أن السرقات الشعرية ليست من البديع فى شىء بل هى ملحظة له كما جاء ذلك عند الخطيب ، حيث قال بعد أن ذكر الجناس وأنواعه وما يتعلق به : " هذا ما تيسر بإذن الله تعالى جمعه وتحريره من أصول الفن الثالث - أى علم البديع - وبقيت أشياء يذكرها فيه بعض المصنفين منها ما يتعين إهماله لعدم دخوله فى فن البلاغة ... ومنها ما لا بأس بذكره لانتمائه على فائدة وهو شيئان أحدهما : القول فى السرقات الشعرية وما يتصل بها ، والثانى القول فى الابتداء والتخلص والانتهاء فعقدنا فيهما فصلين ختمنا بهما الكتاب " ، ويعلق الشيخ عبد المتعال الصعيدى على قول الخطيب " لانتمائه على فائدة " أى : هى باب حسن الأخذ والبعد فى السرقات الشعرية = = وباب مواضع حسن الابتداء والتخلص والانتهاء وأمثالها ، وقال : إن هذا ليس من علوم البلاغة ، وإنما يتكلم الكلام فيها به لانتمائه بها وتوقفه عليها ، وقال : إن براعة الاستهلال ، وحسن التخلص ، وبراعة المقطع من صميم البديع ، من لواحقه ، فالأول قصر ما يلحق بالبديع على السرقات الشعرية . انظر : الإيضاح ص ٢٩٦ ، وبغية الإيضاح ٤ / ٩٢ .

ذكر الثعالبي من خلال ما ساقه عن " تقسيم الطول على ما يوصف به " بيتين أحدهما لابن الرومي والآخر لابن مطران ، وقد أشار الثعالبي إلى أن الأخير قد سرق المعنى من الأول وقد زاد في ذلك عليه فيقول الثعالبي في وصف ثغر " ثغر فيه ذوارد ، كأنه برد الكفل ، وما تحته ، وقد أحسن ابن الرومي في قوله :

وفاحمٍ وارِدٍ يقلّ فَمَشا ∴ ه إذا اختالَ مُسبِلاً غدرَهْ

وأحسن في السرقة منه ، وزاد عليه ابن مطران حيث قال ، والحديث شجون :

ظباء أعارتها المها حسن مشيها ∴ كما قد أعارتها العيون الجآذر

فمن حسن ذاك المشي جاءت فقبلت ∴ مواطئ من أقدامهن الضفائر [1]

(١) عقد اللغة وسر العربية ص ٤٤ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . وبعد

فقد حاولت في الصفحات السابقة أن أقدم دراسة لكتاب فقه اللغة وسر العربية للثعالبي ، وليست أزعم أني قد أتيت بجديد خارق في هذا البحث ، وكل ما في الأمر أنه تأتى لي أن أنعم النظر في مؤلف من مؤلفات رجل أعلام الدراسات البلاغية،على الرغم من أنه في الدراسات اللغوية من الشهرة بمكان .

وبعد هذا العرض لما ورد في كتاب فقه اللغة وسر العربية من مسائل البلاغة يمكن القول بأن أبا منصور الثعالبي كان له جهده الذي لا ينكر في سبل إثراء الدراسات البلاغية .

وقد مهدت لذلك بتمهيد تحدثت فيه عن حياة الثعالبي وثقافته وآثاره ، وأنه كان علما من الأعلام في العلم والأدب حتى أطلق عليه "حاحظ نيسابور" .

وعند تأمل ما أورده الثعالبي في كتاب فقه اللغة وسر العربية من مسائل البلاغة وهو من علماء القرن الخامس الهجري فلا مناص عندئذ إلا بالاعتراف له بما قدمه من إسهام وجهد في ميدان البحث البلاغي .

وقد بدا جليا أن ما ورد في كتاب الثعالبي - وخاصة القسم المعنى بـ " سر العربية " - قد جاء حاويا للجانب الأكبر من أبواب علوم البلاغة الثلاثة .

وثمة حقيقة في غاية من الأهمية أود أن أوردها هنا ، وهي أنه قد يظن ظان ، أو يتوهم متوهم أن التطابق الشديد بين بعض ما ضمنه الثعالبي من مسائل البلاغة في كتابه ، وبين ما وجد في كتاب الصاحبي لابن فارس يرجع إلى

نقل اللاحق من السابق دون وعى أحيانا ، ودون إضافة أحيانا أخرى ، أو دون إشارة إلى من نقل منه .

والحق أن الثعالبى فى عرضه للمسائل البلاغية وسوقه الشواهد عليها من قرآن كريم وغيره ، كان متأثرا إلى حد بعيد بابن فارس ، وهذا مما لا ينبغى أن يعد عيبا ، فالمعروف أن ما عرف من أصول علمية فى أى فن يتناقله العلماء بعضهم عن بعض ، ولا ضرر فى ذلك ما دامت الأمانة العلمية قد توفرت ، وقد ظهرت أماراتها عند الثعالبى إذ نراه ينص على من نقل عنه نصا ، وتارة يشير إشارة من مثل قوله ، وعند قوم ، وذهب قوم ... إلخ . وإن عد ذلك عيبا - ولا عد - فلم لم يعب على الزركشى نقله لأبواب بعينها من ابن فارس كنقله لباب نفى الشئ لعدم كمال صفته ، وأخذه عنه - كذلك - باب الحذاة وباب نفى الشعر عن القرآن الكريم كذلك [1] .

كما نقل عن الباقلانى كل ما قاله فى باب نفى الشعر عن القرآن كذلك [2] ، كما نقل عنه السيوطى فى باب الاقتضاب [3] ... وغير ذلك الكثير مما ينقله العلماء عن بعضهم البعض فهل يقال للاحقين إنكم ما فعلتم شيئا لأنكم أخذتم عن الغير ؟ ثم أن العلم - وهو رحم بين أهله - ينقل ويتداول بين العلماء من عصر إلى عصر ومن جيل إلى جيل ؟ [4] .

---

(١) انظر : البرهان ٣ / ٣٩١ ، ٣٩٥ ، والصاحبى ١٩٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٩ .

(٢) إعجاز القرآن للباقلانى - تحقيق / السيد صقر ص ٥١ : ٥ دار المعارف - ط ٤ .

(٣) الإتقان ٣ / ٣٠٢ ، والصاحبى ٢٠٢ .

(٤) انظر : النماذج المختارة فى كتاب الصاحبى ص ٩٤٧ .

فالثعالبى إن نقل فقد نقل بوعى ، ولم يكتف بالنقل بل أضاف ما لم يذكره عند سابقه ، وهكذا النفس الإنسانية تستلهم ممن سبقها النور لتوسع منه ، وتكشف من إشعاعاته ، فيعم نور العلم ويتوهج فيغشى الجميع .

ومما بدا لى بعد هذه الدراسة الشائقة والشاقة فى آن واحد أن كتاب فقه اللغة وسر العربية للثعالبى لم يكن كتاب بلاغة فحسب ، ولكنه - على - كان موسوعة لفنون متعددة ، لذلك لم يكن واضعا لأبواب البلاغة فى تواليها ، ولكنها كانت متناثرة فى جنبات متعددة ، وقد تم من خلال هذه الدراسة جمع شتات تلك المسائل البلاغية ، ووضعها فى الإطار الخاص بها موزعة على علوم البلاغة الثلاثة ، مما يساعد على الحكم الدقيق على هذا الكتاب والوقوف على قيمته فى مجال الدراسات البلاغية ، وقيمة الجهد الذى يمكن أن يسجل للثعالبى فى هذا الميدان .

وإذا كان هناك من ملاحظات على ما ورد فى كتاب فقه اللغة وسر العربية من مسائل بلاغية ، فإنه يمكن إجمالها فيما يلى :

أن الثعالبى قد استوعب فى كتابه هذا جل المسائل البلاغية التى تشمل علوم البلاغة الثلاثة المعانى والبيان والبديع .

يلحظ على الثعالبى عدم التسلسل وحسن الترتيب فى أكثر الأحايين ، من قبيل عرض مسائل الباب الواحد فى أكثر من موضع من فقه اللغة تحت عناوين متعددة ، وإن كانت فى الحقيقة كلها ترجع إلى أصل واحد ، أو باب واحد من أبواب علوم البلاغة ، ومن هذا القبيل صور خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر فقد ذكرها فى موضعها ، ثم كرر منها صورا عند باب الإيجاز ، وفعل مثل ذلك فى كلامه عن المجاز حيث ذكر بعض علاقات المجاز

المرسل فى موضع ، ثم تكلم عن بعض العلاقات فى موضع آخر وذلك عند حديثه عن باب الزيادة .

وفعل مثل ذلك فى الاستعارة حيث جاءت مبثوثة فى ألحاء متفرقة من كتابه ، وتارة يخصص لها فصلا مستقلا ، وقد يورد استعارات ناصا عليها من خلال حديث له عن شئ لا علاقة له بالاستعارة ، كما أنه قد يشير إلى كلام قد بنى على الاستعارة ولكنه لا ينص عليها .

ومما يحسب له فى ذلك المضمار أنه فى عرضه لبعض الاستعارات دون نص عليها ، أنه كان يقرر ما يذهب إليه إما بحديث نبوى شريف ، أو قول من أقوال العرب أشعارهم وأمثالهم ، بل قد وصل الحد إلى تخصيص فصل عن استعارات القرآن فحسب أسماه " فصل من استعارات القرآن " .

وفعل مثل ذلك عند حديثه عن الاستعارة التبعية فى الحرف ، فقد أوردها فى موضع حديثه عند زيادة حرف " اللام " ، وزيادة حرف " فى " ، بينما لم يخصص لها عنوانا أو فصلا .

وقد نجده فى مواضع أخرى من كتابه يورد أمثلة على أنها استعارة وهى كناية صرفة من مثل قوله " عيش أخضر ، وموت أحمر ، ويوم أسود ، وعدو أزرق ، وقد يشير إلى كلام مبنى على الاستعارة ولكنه لا ينص عليها ثقة بفهم القارئ .

ولعله ليس من قبيل المبالغة أن التعالبى كان له أثره فى الإمام عبد القاهر فى ذكر ملمح هام فى أسلوب الاستعارة ، إذ أشار التعالبى إلى أهمية وجود مواءمة وملاءمة بين المستعار منه والمستعار له حيث قال فى مفهومها : " أن تستعير للشئ ما يليق به " ونجد الإمام فى أسرار البلاغة عند حديثه عن تقسيم

المجاز اللغوى إلى الاستعارة وغيرها ، أن هذا النقل لابد أن يكون " لعلاقة ومناسبة بين ما نقلها إليه وما نقلها عنه " [1] .

ومما يدخل تحت ما نحن فيه أنه عند أول عرضه لمسألة بلاغية ما ، قد لا يتعرض لمصطلحها البلاغى ، وفى موضع متأخر من الكتاب يورد حديثا آخر عنها فيذكر مفهومها ، من ذلك ما جاء عن الالتفات فقد عرض فى موضع لبعض صوره فحسب ، وفى نهاية الكتاب تعرض لصور أخرى وذكر مفهوم الالتفات وأحسب أن مثل تلك الأمور لا تعيب عالما فى مكانة الثعالبى ، لأن علماءنا وأصحاب التراث كثيرا ما يتناولون الموضوع الواحد ، أو القضية الواحدة فى أكثر من موضع ، وكثيرا ما يخرجون عن أصل الموضوع إلى قضايا فرعية ، تتعلق به ، ثم يعودون بعد ذلك إلى جوهر الموضوع الذى يتحدثون فيه ، ولا أدل على ذلك من الجاحظ فى البيان والتبين ، وأبى حيان التوحيدى فى البصائر والذخائر ، بل والإمام عبد القاهر - شيخ البلاغيين وإمامهم - فى دلائل الإعجاز حيث عالج موضوع الاستعارة والكناية والمجاز فى أكثر من موضع من الكتاب ، وفى كل موضع يذكر ما يلائم الغرض من القضية التى يتحدث عنها [2] ، إذا فالثعالبى فى هذا المضمار ليس بدعا من العلماء .

وحيث إن المصطلحات البلاغية الدقيقة والتعريفات الجامعة المانعة لم تستقر بصفة نهائية إلا عند السكاكى ومن تلاه من العلماء ، فحيث ذلك

---

(١) انظر : أسرار البلاغة ص ٤٠٨ .

(٢) انظر : المسائل البلاغية فى كتاب الصناعتين ص ١٥١ .

كذلك جاءت المسائل البلاغية عند الثعالبي أحيانا تحت مسميات غير التي تعارف عليها البلاغيون ، وإن كانت تلك المسميات لا تختلف في جوهرها عن المصطلحات التي عرفت فيما بعد .

وحيث إن الشطر الأول من عنوان كتاب الثعالبي أطلق عليه " فقه اللغة " قد كان يعنيه بيان طرق العرب في مخاطباتهم والسنن التي اتبعوها في ذلك وصولا إلى فهم القرآن الكريم على غرار تلك التعبيرات وهذه الطرق ، من أجل ذلك كان عرض الثعالبي للمسائل البلاغية تحت هذا المضمار فنجده يقول تارة : ومن سنن العرب قولهم كذا ، وتارة أخرى : وهذه طريقة من طرائق العرب في الكلام ، وتارة : العرب تفعل ذلك فتذكر الشيء على العموم ، ثم تخص منه الأفضل فالأفضل ، أي:يريد ذكر الخاص بعد العام ، وقس على هذا .

بدا على الثعالبي حرصه واعتداده بكتاب الله – وذلك شأن كل مسلم غيور على دينه – وذلك أنه كلما عرض لمسألة بلاغية أو لغوية يمثل لها بأمثلة تأليفية ، ثم يوازن بين ما عرضه وبين شبيهه ومقابله في القرآن الكريم ، وهو يرمي من وراء ذلك تأكيد إعجاز القرآن حيث نزل : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [1] ، ومن ذلك قوله : " من سنن العرب أن تحذف فتقول : لم أبل ، ولم أبالِ ، وقولهم لم أك ، ولم أكن ، وفي كتاب الله عز وجل : ﴿ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ [2] ، وقد لا تعدم إشارة إلى ما يتصل بكتاب الله وتلاوته ، كإبراز ما سمي – فيما بعد – بعلم التجويد ، حيث يقول : " ومن سنن العرب أن تحذف

---

(١) سورة الشعراء : ١٩٥ .

(٢) سورة مريم : ٩ .

الألف من " ما " إذا استفهمت فتقول : " عم " ، كما قال الله عز وجل : ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [1] أي : عن " ما " فأدغم النون في الميم [2] ، فها قد رأيته يشير إلى ما عرف بحكم النون الساكنة إذا وليها حرف " الميم " ، فأشار إلى الإدغام ، وهذا وغيره يعزى إلى حرصه على إبراز إعجاز كتاب الله والاهتمام بتلاوته حق التلاوة .

غنى عن البيان أن الثعالبي قد أكثر من أمثلته في كتاب فقه اللغة وسر العربية ، وكان جلها من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وهذا مما يصب في ميزانه ويحمد له .

لم يكن الثعالبي كحاطب ليل لا يفرق بين التمرة والجمرة ، فهو إن نقل عن غيره فإنه ينقل بوعي وقد سبقت الإشارة إلى ذلك ، ومما يؤكد تلك النظرة تفضيله كلمة على كلمة لأن هذه أفصح من تلك مستشهدا في ذلك بالقرآن الكريم ، وذلك حينما تحدث في فصل عن تقسيم القتل ، حيث نقل عن أبي عبيد عن الأحمر قائلا : صدع النملة ، فيقول الثعالبي : وحطم أحسن وأفصح ، لأن القرآن نطق بذلك في قصة سليمان صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم [3] .

ومن ذلك رده على بعض المفسرين إزاء تفسيرهم لكلمة ما ، إذ لم يكن يرتضي الثعالبي هذا المعنى لتعارضه مع المراد ، وذلك عند تعرضه لمعنى كلمة " الهجار " إذ قال : هو الحبل الذي يشد به رسغ البعير والدابة إلى حقوه ، وزعم

---

(١) سورة النبأ : ١ .

(٢) انظر : فقه اللغة وسر العربية ص ٢٤٦ .

(٣) كما في قوله تعالى : ﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ سورة النمل : ١٨ .
وانظر : فقه اللغة وسر العربية ص ١٠٧ .

بعض متكلمي المفسرين في قوله تعالى : ﴿ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾ [١] ،
أي : شدوهن بالهجار .

ومن ذلك - أيضا - وفيه يتجلى بوضوح اعتداد الثعالبي بالاستشهاد بالقرآن ، إذ هو أولى ما يحتج به ، إذ يرد على ابن قتيبة في مفهوم كل من الفقر والمسكين إذ قال الثعالبي : قال ابن قتيبة : الفقير الذي له بلغة من العيش ، والمسكين الذي لا شيء له واحتج ببيت الراعي :

أَمَّا الفَقِيرُ الَّذِي كَانَتْ حَلُوبَتُهُ ... وَفْقَ العِيالِ فَلَمْ يُتْرَكْ لَهُ سَبَدُ [٢]

وقد غلط ؛ لأن المسكين هو الذي له البلغة من العيش ، أما سمع قول الله عز وجل : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ﴾ [٣] ، فأثبت لهم سفينة ، وقول الله عز وجل أولى ما يحتج به ، ثم يبدي الثعالبي وجها آخر في المسألة فيقول : وقد يجوز أن يكون الفقير مثل المسكين أو دونه في القدرة على البلغة ، وهكذا تتجلى بين ناظريك شخصية الثعالبي العلمية المستقلة .

عرض الثعالبي للإيجاز بالحذف وأفاض من أمثلته ، إلا أن إيجاز القصر لم ينل منه ما نال إيجاز الحذف . وقد ورد في هذه الدراسة أن الثعالبي لم ينص عليه ، بل فهم منه من خلال ما ساقه في فصل عن تفصيل أسماء الوسائد وتقسيمها .

وفي كلام الثعالبي عن الحشو ، قسمه ثلاثة أضرب ، ضرب منه رديء مذموم ، وضرب أوسط ، وضرب حسن لطيف ، وساق لكل أمثلة وشواهدا ،

---

(١) سورة النساء : ٣٤ ، وانظر : فقه اللغة وسر العربية ص ٥٩ ، ٦٠ .
(٢) سبد : يقال : ما له سبد ولا لبد ، أي : ما له قليل ولا كثير . اللسان (سبد) .
(٣) سورة الكهف : ٧٩ ، وانظر : فقه اللغة وسر العربية ص ٥٩ ، ٦٠ .

والحق أن فيما ذكره خلطا بينا ، فهناك شواهد جعلها تحت دائرة الحشو ، وهي عند البلاغيين المتأخرين إما اعتراض أو تكميل واحتراس ، ولعل هذا الخلط إنما هو من عدم تحديد تلك المصطلحات تحديدا دقيقا ، كما حدث لدى المتأخرين ، ويدخل فيما نحن فيه ما أورده عند حديثه عن الطباق فكثيرا ما ساق شواهد على الطباق هو بعينه ما ينضوي تحت المقابلة لدى المتأخرين ، فالعذر للثعالبي حيث لم تكن تحددت بعد هذه المصطلحات بهذه الدقة التي هي عليها الآن .

للثعالبي حاسته النقدية التي ظهرت بوضوح من خلال ما ساقه وما علق عليه من آيات وأشعار ، ولكن حينما يستحسن أو يستقبح نادرة يعلل ونادرة لا يعلل ، فمن استحسانه دون تعليل على سبيل المثال ما علق عليه فيما ذكره من أمثلة للحشو بقوله : حشو ما حسنه غاية ، حشو لا يخلى حسنه وبراعته ، حشو يجمع الحسن والطيب ، حشو يقطر منه ماء الظرف ، حشو يعجز الوصف عن حسنه وحلاوته ، ومن نماذج تعليله لما يذهب إليه من استحسان أو عدمه كأن يقول : حشو مستغنى عنه ، ولكن لا بأس به في مواضعه ، أو حشو يتم الكلام بدونه ولكنه محمود لما فيه من تفخيم اللفظ وتأكيد المراد .

ومن ذلك حينما تكلم عن تشبيهات أنيقة فأورد أمثلة للمتقدمين والمحدثين ، ثم قال : وأرى أبا نواس السابق إليها ، وفي مواضع أخر يذكر بيتا لامرئ القيس ثم يورد بيتا لذي الرمة ، فيقول : وقد زاد ذو الرمة في المعنى على امرئ القيس ويعلل لما ذهب إليه .

وأحيانا قد يعلق على أبيات معينة فيقول وهذا من لطائف الشعراء .

ظهر من خلال البحث أن الثعالبي ممن يقولون بوجود " واو " الثمانية في كلام العرب ، وساق ما ساقه من شواهد وأمثلة على ذلك . وأشارت الدراسة إلى أنه ليس مثل تلك الواو وجود البتة وهذا هو كلام المحققين .

كما بدا من خلال البحث - أيضا - أن أبا منصور الثعالبي لم يفرد في كتابه حديثا عن الحقيقة لا من قريب ولا من بعيد ، اللهم إلا في موضع واحد ، جاء على سبيل إبراز المقابل من الكلام الذي معها على أنه مجاز ، فكان أن ذكر كلمة حقيقة مجردة . أما حديثه عن المجاز فقد ورد في أكثر من موضع من كتابه ، من قبيل قوله : " وهذا على المجاز والاستعارة " ، أما إفراده بالحديث ، فقد أورده تحت فصل أسماه باسمه فقال " فصل في المجاز " ، ولكنه لم يعرض لمفهومه .

وفي فقه اللغة وسر العربية مسائل من علم البديع ذكرها الثعالبي ، وقد لوحظ أنها جاءت متناثرة هنا وهناك ، وأشار إلى نوعين من المحسنات اللفظي والمعنوي ، فمن المعنوي أشار إلى الطباق ومثل له وأدخل أمثلة من المقابلة فيه - وقد سبقت الإشارة إلى ذلك - وذكر - أيضا - تأكيد المدح بما يشبه الذم ومما أورده من أمثلة هذا اللون الذي ساق مثالا هو لتأكيد الذم بما يشبه المدح ولم ينص عليه ، بل جاء في سياق أمثلة لتأكيد المدح بما يشبه الذم ، كما ذكر التجريد ، والتقسيم ، ومن المعنوي فقد ذكر الجناس ، ومراعاة الفواصل ، ورداء السكت ، وشيئا يسيرا عن السرقات الشعرية .

والجدير بالذكر أن بحوث الثعالبي البلاغية لم تقف عند كتاب فقه اللغة وسر العربية فحسب ، بل تعرض لذكر بعض المصطلحات البلاغية في كتبه الأخرى بل تعدى الأمر إلى أكثر من ذلك فهناك كتب أطلق عليها أسماء

مصطلحات بلاغية ، مما يؤكد ويقرر طول باعه في مجال الدراسات البلاغية ، فمن هذه الكتب على سبيل المثال لا الحصر : كتاب أجناس التجنيس ، كتاب إعجاز الإيجاز [١] ، وكتاب الأمثال والتشبيهات ، كتاب سجع المنثور ، كتاب سحر البلاغة وسر البراعة [٢] ، وكتاب سر الأدب في مجاري كلام العرب [٣] ، كتاب الكناية والتعريض [٤] ، كتاب النهاية في الكناية [٥] ، وغير ذلك من تلك الكتب ذات العناوين البلاغية التي لا تدع مجالا لأدنى شك في عمق محور هذا الرجل في ميدان البحث البلاغي ، وما فقه اللغة وسر العربية إلا نقطة في بحر بلاغة أبي منصور الثعالبي .

وبعد : فهذا هو جهدي المتواضع في هذه الدراسة ، وهذه هي نتائجها وملاحظاتها ، فإن أكن بها قد أصبت الهدف ، فذلك الفضل من الله وحده ، لله - سبحانه - الحمد والشكران .

و إلا فحسبي ثواب المحاولة والاجتهاد ، وأرجو لهذه الدراسة أن أكون قد أضفت شيئا ذا بال إلى مكتبة البلاغة العربية ، وما توفيقي إلا بالله ، وهو وحده يقول الحق ويهدي السبيل ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ .

---

(١) طبع بمصر سنة ١٨٩٧ م .
(٢) طبع في مصر .
(٣) طبع في إيران .
(٤) طبع في مصر .
(٥) طبع في الشام .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١ - الإتقان في علوم القرآن للسيوطي - تقديم / مصطفى ديب - طبعة دار ابن كثير دار العلوم الإنسانية - دمشق - ط ثانية ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.

٢ - إعجاز القرآن في تطور النقد الأدبي - د / محمد زغلول سلام - دار المعارف - ط ثالثة.

٣ - أبو النجاة في البحث البلاغي - د / عبد القادر حسين - دار غريب للطباعة والنشر ١٩٨٩ م.

٤ - أساس البلاغة للزمخشري - طبع دار المعرفة - لبنان ١٤٠٢ هـ.

٥ - أساليب البيان والصورة القرآنية - دراسة تحليلية لعلم البيان - د / محمد إبراهيم شادي - دار وائل - ط أولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م.

٦ - الإطناب عند العباس بن الأحنف صوره ومقاصده - د / دسوقي عبد المنعم محمد - ط ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.

٧ - الأعلام لخير الدين الزركلي - دار العلم للملايين - بيروت.

٨ - الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ - دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن - د / محمد الأمين الخضري - مطبعة الحسين الإسلامية - ط أولى ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م.

٩ - إعجاز القرآن للباقلاني - تحقيق / السيد صقر - ط دار المعارف - ط ٤.

١٠ - الإعجاز والإيجاز للثعالبي - تخريج حواشي د / محمد الوحيي - دار الفكر - ط أولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.

١١ - الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع للخطيب القزويني - تحقيق د / محمد عبد المنعم خفاجي - دار الكتاب الجديد - الكويت.

١٢ - الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع - للخطيب القزويني - دار الجيل بيروت.

١٣ - بحر العلوم للسمرقندي - تحقيق الشيخ / علي محمد معوض وآخرين - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م.

١٤ - البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي - ط دار الفكر - لبنان ١٣٨٩ هـ.

١٥ - البرهان في علوم القرآن للزركشي - تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم - المكتبة العصرية - صيدا بيروت (من دون).

١٦ - البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن للوملكاني - تحقيق د / خديجة الحديثي ، ود / أحمد مطلوب - مطبعة العاني بغداد - ط أولى ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م.

١٧ - بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة - للشيخ / عبد المتعال الصعيدي - مكتبة الآداب - ط مطبعة ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.

١٨ - البلاغة العالية في علم البيان - للشيخ / عبد المتعال الصعيدي - مكتبة الآداب - ط أولى ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.

١٩ - البلاغة العالية في علم البيان - للشيخ / عبد المتعال الصعيدي - تقديم د / عبد القادر حسين - المطبعة النموذجية - ط ثانية ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.

٢٠ - البيان عند الشهاب الخفاجي - د / فريد محمد بدوي الكلاري - مطبعة الأمانة.

٢١ - تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة - تحقيق / أحمد صقر - ط ثانية.

٢٢ - التصوير الفني في القرآن - للشهيد / سيد قطب - دار الشروق.

٢٣ - تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) - للعلامة / أبي السعود - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط ثانية ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م.

٢٤ - تفسير التحرير والتنوير - للشيخ / محمد الطاهر بن عاشور - الدار التونسية للنشر.

٢٥ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن - للإمام ابن جرير الطبري - دار الفكر للطباعة والنشر ١٤٠٥ هـ.

٢٦ - جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع - للسيد / أحمد الهاشمي - تدقيق / حسن غزالي محمد - مكتبة الآداب ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.

٢٧ - حاشية الدسوقي (ضمن شروح التلخيص) - مطبعة دار السرور - لبنان.

٢٨ - حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسمى عناية القاضي وكفاية الراضي - دار إحياء التراث العربي - بيروت لبنان.

٢٩ - الخصائص لابن جني - تحقيق / محمد علي النجار - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ط ٣ - ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

٣٠ - خصائص التراكيب - د / محمد أبو موسى - دار الطامن - ط ٢ - ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.

٣١ - دراسات وتطبيقات في علم البيان - د / يحيى محمد يحيى - مطبعة الأمانة - ط أولى ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.

٣٢ - درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي - ط بيروت ١٣٩٢ هـ.

٣٣ - روح المعاني للألوسي - تصحيح / محمد حسين العرب - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت لبنان ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤.

٣٤ - زهر الآداب للحصري القيرواني - تحقيق / علي محمد البجاوي - ط عيسى الحلبي.

٣٥ - سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي - تصحيح الشيخ / عبد المتعال الصعيدي - مطبعة محمد علي صبيح ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .

٣٦ - شرح تلخيص المفتاح للعلامة سعد الدين التفتازاني - تحقيق / عبد الحميد هنداوي - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - ط أولى - ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م .

٣٧ - الصاحبي لابن فارس - تحقيق / السيد أحمد صقر - طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة .

٣٨ - صحيح البخاري - تحقيق / الله عبد الرءوف سعد - ط ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م .

٣٩ - صناعة الكتابة - د / عبد الفتاح لاشين - دار المريخ للنشر - طبعة الرياض ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

٤٠ - عروس الأفراح لابن السبكي (ضمن شروح التلخيص) - مطبعة دار ...وز - لبنان .

٤١ - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني - تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد - دار الجيل - بيروت ط خامسة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

٤٢ - الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري - تحقيق / حسام الدين القدسي - مكتبة القدسي ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م .

٤٣ - فقه اللغة وسر العربية للثعالبي - تحقيق / محمد فهمي السيد - المكتبة التوفيقية (من دون) .

٤٤ - فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي - بيروت ١٩٧٣ م .

٤٥ - في البلاغة القرآنية - د / صباح عبيد دراز - مطبعة التوفيقية - مصر (من دون) .

٤٦ - في البلاغة القرآنية جهود وآراء - د / صلاح محمود شحاتة - مطبعة الأمانة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

٤٧ - في ظلال القرآن - للشهيد / سيد قطب - دار الشروق - ط ١١ - ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

٤٨ - القاموس المحيط للفيروزابادي - دار إحياء التراث العربي - بيروت لبنان ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م .

٤٩ - كتاب أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني - تحقيق / محمود محمد شاكر - مطبعة المدني - ط أولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م .

٥٠ - كتاب البيان في علم المعاني والبديع والبيان - للعلامة / شرف الدين حسين بن محمد الطيبي - تحقيق د / هادي عطية مطر الهلالي - عالم الكتب - مكتبة النهضة العربية - ط أولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

٥١ - كتاب الجمل للزجاجي - تحقيق د / علي توفيق الحمد - مؤسسة الرسالة - دار الأمل .

٥٢ - كتاب دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني - تحقيق / السيد محمد بدر - مطبعة السعادة (من دون) .

٥٣ - الكتاب لسيبويه - تحقيق / / عبد السلام هارون - مكتبة الخانجي بمصر - ط ثالثة - ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

٥٤ - كتاب الشعر لأبي علي الفارسي - تحقيق / محمود محمد الطناحي - مطبعة المدني - ط أولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

٥٥ - كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري - تحقيق / علي البجاوي - ط دار الكتب العلمية - بيروت

٥٦ - كتاب المقتضب للمبرد - تحقيق / محمد عبد الخالق عضيمة - طبع لأجل المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة ١٩٨٦ م

٥٧ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري - دار المعرفة - بيروت لبنان (من دون) .

٥٨ - الكناية والتعريض للثعالبي - دراسة وشرح وتحقيق / عائشة حسين فريد - دار قباء للطبع والتوزيع - ١٩٩٨ م .

٥٩ - لسان العرب لابن منظور - دار صادر بيروت - ط ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م

٦٠ - اللغة الشاعرة - صابر محمود العلاد - طبع بمكتبة غريب بالقاهرة ١٩٨٨ م .

٦١ - المثل السائر لابن الأثير - تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية للطباعة والنشر ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م

٦٢ - مجاز القرآن لأبي عبيدة - تحقيق / محمد فؤاد سزكين - مكتبة الخانجي بمصر .

٦٣ - مجمع الأمثال للميداني - تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة .

٦٤ - مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي - تخريج / إبراهيم شمس الدين - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - ط أولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .

٦٥ - المحتسب لابن جني - تحقيق / علي النجدي ناصف . د / عبد الفتاح إسماعيل شلبي - ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م

٦٦ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - ط أولى ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م .

٦٧ - مختار الصحاح للرازي - دار الفكر بيروت - لبنان (من دون)

٦٨ - مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع لابن خالويه - مكتبة المتنبي - القاهرة

٦٩ - المسائل البلاغية في كتاب الفصاحي لابن فارس - د / فريد محمد النكلاوي - مطبعة الأمانة - ط أولى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

٧٠ - المصباح للسيد الشريف - تحقيق د /فريد محمد النكلاوي- ط ١٩٧٧ م .

٧١ - المطول للعلامة سعد الدين التفتازاني بحاشية السيد الشريف - المكتبة الأزهرية للتراث - مطبعة احمد كامل ١٣٣٠ هـ .

٧٢ - معاني الحروف للرماني - تحقيق د / عبد الفتاح شلبي - ط ١٩٧٣ م .

٧٣ - معاني القرآن للأخفش - تحقيق د / عبد الأمير محمد أمين الورد - عالم الكتب - ط أولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

٧٤ - معاني القرآن للفراء - تحقيق أ / محمد علي النجار - الدار المصرية للتأليف والترجمة .

٧٥ - معاني القرآن وإعرابه للزجاج - تحقيق د / عبد الجليل عبده شلبي - عالم الكتب - بيروت - ط أولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

٧٦ - معترك الأقران في إعجاز القرآن السيوطي - تحقيق / احمد شمس الدين - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - ط أولى ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م .

٧٨ - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري - تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .

٧٩ - مفاتيح الغيب وهو المسمى بـ " تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب " - تقديم / محي الدين البسي - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .

٨٠ - مفتاح العلوم للسكاكي - ضبط وتعليق / نعيم زرزور - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ثانية ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

٨١ - المقدمة لابن خلدون - ط دار الكتاب اللبناني .

٨٢ - من أسرار التركيب القرآني - دراسة تحليلية لسورة الأحزاب - د / محمد أبو موسى - دار الفكر العربي .

٨٣ - من الإعجاز البلاغي للقرآن - د / صباح عبيد دراز - ط أولى ١٩٨٠م .

٨٤ - من عطاء نظم القرآن الكريم - دراسة تحليلية لسورة الأنبياء - د / عبد الحميد محمد الهنداوي - مطبعة آباء وهبة - ط أولى ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

٨٥ - الموازنة بين أبي تمام والبحتري - تحقيق / السيد احمد صقر - دار المعارف - ط ثانية ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

٨٦ - النشر في القراءات العشر للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي - تصحيح / علي محمد الضباع - دار الكتب العلمية - بيروت .

٨٧ - نظرات في البلاغة والإسناد - د / محمد عبد الرحمن الكردي - ط ثانية ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م

٨٨ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي - تحقيق احمد الزعبي - دار الكتب العلمية - بيروت ط أولى ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .

٨٩ - نقد الشعر لقدامة بن جعفر - تحقيق د / محمد عبد المنعم خفاجي - ط أولى ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

٩٠ - النكت في إعجاز القرآن للرماني - تحقيق د / محمد خلف الله ، د / محمد زغلول سلام - دار المعارف بمصر - ط ثانية ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م .

٩١ - النكت والعيون " تفسير الماوردي " - تعليق / السيد عبد المقصود عبد الرحيم - ط دار الكتب العلمية - بيروت .

٩٢ - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرازي - تحقيق د / بكري شيخ أمين - ط دار العلم للملايين - ط أولى ١٩٨٥ م .

٩٣ - وفيات الأعيان لابن خلكان - تحقيق د / إحسان عباس - دار صادر .